دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الفرح آثاره وأحكامه في ضوء القرآن الكريم
المؤلف الرئيسي:	محمد، حسين شريف
مؤلفين آخرين:	علي، عثمان الحسن أحمد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2010
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 226
رقم MD:	562147
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية أصول الدين
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	تفسير القرآن، ألفاظ القرآن، الفرح في القرآن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/562147

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

فالإنسان يجدر به أن لا يفرح بالمال ولا بمتع هذه الدنيا الزائلة ، ولكن يجب عليه أن يكون له هدف أسمى من ذلك هو الفرح بفضل الله تعالى ورحمته ، هذا ما دعا إليه القرآن الكريم :﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [1]) [2] .

الفصل الثاني

نماذج من الفرح في القرآن الكريم

المبحث الأول : فرح المؤمنين .

المبحث الثاني : فرح المنافقين .

---

(١) سورة يونس الآية ٥٨.

(٢) روح الدين الإسلامي :عفيف عبد الفتاح طباره ، ط ١٠ ، بدون سنة الطبعة ، دار العلم للملايين . بيروت . لبنان ، ص١٧١ .١٧٢ .

المبحث الثالث : فرح الكافرين .

المبحث الأول
فرح المؤمنين

المطلب الأول : فرح المؤمنين بفضل الله وبرحمته :

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعد أن منَ علينا بنعمه العظيمة والجليلة التي لا تعد ولا تحصى أمرنا أن نفرح فرح سرور ورضا بنعمة الإيمان والإسلام وبنعمة القرآن الكريم وهذين النعمتين من أجلِ النعم حيث قال ـ جلَ جلاله ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [1].

أوجه القراءات القرآنية :

قرأ السبعة والجمهور : ﴿فليفرحوا ﴾ بالياء التحتية أمرا للغائب .

---

(١) سورة يونس الآية ٥٧ ـ ٥٨ .

وقرأ يعقوب [1] من العشرة وغيرهم من السلف : ﴿فلتفرحوا ﴾ بالتاء الفوقية خطابا لأصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمعنى على هذا فلتفرحوا بذلك يا أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو خير مما يجمع الكفار[2] .

المعنى العام :

(يقول تعالى ممتنا على خلقه بما أنزل إليهم من القرآن العظيم على رسوله الكريم : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أي : زاجر عن الفواحش، ﴿ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ أي : من الشُبَه والشكوك ، وهو إزالة ما فيها من رجس ودَنَس، ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ أي : محصلٌ لها الهداية والرحمة من الله تعالى ، وإنما ذلك للمؤمنين به والمصدقين الموقنين بما فيه ، كما قال تعالى :﴿ وَنُنزلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إلا خَسَارًا ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [4].

وقوله تعالى:﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ أي: بهذا الذي جاءهم من الله من الهدى ودين الحق فليفرحوا، فإنه أولى ما يفرحون به) [5] .

وعن ابن عباس[1] ـ رضي الله عنهما ـ قال : أن فضل الله القران ورحمته الإسلام .

---

(١) هو يعقوب بن إسحاق الحضرمي قارئ أهل البصرة ، قال أبو القاسم الهذلي لم ير في زمن يعقوب مثله كان عالما بالعربية ووجوهها والقرآن واختلافه فاضلا تقيا نقيا ورعا زاهدا بلغ من زهده أنه سرق رداؤه عن كتفه في الصلاة ولم يشعر ورد إليه ولم يشعر لشغله بالصلاة وبلغ من جاهه بالبصرة أنه كان يحبس ويطلق ، وقال ابن سوار وغيره توفي في ذي الحجة سنة ٢٠٥ هـ) انظر:(معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله ، تحقيق : بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس ، ط١ ، ١٤٠٤هـ ، مؤسسة الرسالة . بيروت ، ج١/ ص ١٥٨) وانظر (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : ص ٧٦٠) .

(٢) أنظر تحبير التيسير في القراءات العشر: ابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف ، تحقيق: د.أحمد محمد مفلح القضاة ، ب ط ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ، دار الفرقان – الأردن . عمان ، ص٤٠٠ ، و جامع البيان في تأويل القرآن : ج١٥ /ص١٠٥ بتصرف .

(٣) سورة الإسراء الآية ٨٢ .

(٤) سورة فصلت الآية ٤٤ .

(٥) تفسير القرآن العظيم : ج٤/ ص ٢٧٤ . ٢٧٥ .

وروي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ انه قال : أن فضل الله القران ورحمته أن جعلكم من أهله [٢] .

وللأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ كلام جميل نذكره هنا :

(فبهذا الفضل الذي آتاه الله عباده ، وبهذه الرحمة التي أفاضها عليهم من الإيمان . . فبذلك وحده فليفرحوا . فهذا هو الذي يستحق الفرح . لا المال ولا أعراض هذه الحياة . إن ذلك هو الفرح العلوي الذي يطلق النفس من عقال المطامع الأرضية والأعراض الزائلة ، فيجعل هذه الأعراض خادمة للحياة لا مخدومة ؛ ويجعل الإنسان فوقها وهو يستمتع بها لا عبداً خاضعاً لها . والإسلام لا يحقر أعراض الحياة الدنيا ليهجرها الناس ويزهدوا فيها . إنما هو يزنها بوزنها ليستمتع بها الناس وهم أحرار الإرادة طلقاء اليد ، مطمحهم أعلى من هذه الأعراض ، وآفاقهم أسمى من دنيا الأرض . الإيمان عندهم هو النعمة ، وتأدية مقتضيات الإيمان هي الهدف . والدنيا بعد ذلك مملوكة لهم لا سلطان لها عليهم .

عن صفوان بن عمرو[٣] : سمعت أيفع بن عبد الله الكلاعي[٤] يقول : لما قدم خراج العراق إلى عمر - رضي الله عنه - خرج عمر ومولى له ، فجعل عمر يعد الإبل فإذا هي أكثر من ذلك ، فجعل يقول : الحمد لله تعالى .

---

(١) حبر الأمة ، وفقيه العصر ، إمام التفسير ، أبو العباس عبد الله ، ابن عم رسول الله ، القرشي الهاشمي المكي ، وروي عن رسول الله شيئا كثيرا ، وعن جماعة من الصحابة ، وأخذ عنه خلق من الصحابة وأمم من التابعين ، مات في الطائف سنة ٨٦هـ ، انظر (البداية والنهاية : للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ. ٢٠٠٢ م ، دار البيان الحديثية ، القاهرة ، ص ٢٤٩ / ٨) ، وانظر (أسد الغابة في معرفة الصحابة : ج٣/ ص ٢٩٦) .

(٢) انظر تفسير البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض ، وأخرون ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ج ٦ / ص٣٣٧ ، وانظر جامع البيان في تأويل القرآن : ج١٥/ ص١٠٥ بتصرف .

(٣) هو صفوان بن عمرو ، ابن هرم ، الامام المحدث ، الحافظ ، أبو عمرو الحمصي ، محدث حمص مع حريز بن عثمان ، حدث عن عبد الله بن بسر المازني ، وجبير بن نفير، وراشد بن سعد، وخالد بن معدان، وعبد الرحمن بن عائذ الثمالي، وأيفع بن عبدالكلاعي، وحجر بن مالك الكندي، وعبد الرحمن بن جبير بن نفير، وخلق كثير غير مشهورين، وقال ابن سعد : كان ثقة ، مأمونا ، قال يزيد بن عبد ربه، وغيره: مات سنة خمس وخمسين ومئة ، وقال الوليد بن عتبة: مات وقد جاوز الثمانين، (أنظر سير أعلام النبلاء : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، ط ٩ ، ١٤١٣هـ ، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان ، ج٦ / ص ٣٨٠. ٣٨١) .

(٤) هو أيفع بن عبدالكلاعي تابعي صغير استدركه أبو موسى ، أخرجه الإسماعيلي في الصحابة ، ولا يصح لأيفع سماع من صحابي ،

ويقول مولاه : هذا والله من فضله الله ورحمته ، فقال عمر : كذبت ليس هذا هو الذي يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [1].

هكذا كان الرعيل الأولون ينظرون إلى قيم الحياة . كانوا يعدون الفضل الأول والرحمة الأولى هي ما جاءهم من الله من موعظة وهدى . فأما المال ، وأما الثراء ، وأما النصر ذاته فهو تابع . لذلك كان النصر يأتيهم ، وكان المال ينثال عليهم ، وكان الثراء يطلبهم . . إن طريق هذه الأمة واضح . إنه في هذا الذي يسنه لها قرآنها ، وفي سيرة الصدر الأول الذين فهموه من رجالها . . هذا هو الطريق .

إن الأرزاق المادية ، والقيم المادية ، ليست هي التي تحدد مكان الناس في هذه الأرض . . في الحياة الدنيا فضلاً عن مكانهم في الحياة الأخرى . . إن الأرزاق المادية ، والتيسيرات المادية ، والقيم المادية ، يمكن أن تصبح من أسباب شقاوة البشرية - لا في الآخرة المؤجلة ولكن في هذه الحياة الواقعة - كما نشهد اليوم في حضارة المادة الكالحة!

إنه لا بد من قيم أخرى تحكم الحياة الإنسانية ؛ وهذه القيم الأخرى هي التي يمكن أن تعطي للأرزاق المادية والتيسيرات المادية قيمتها في حياة الناس ؛ وهي التي يمكن أن تجعل منها مادة سعادة وراحة لبني الإنسان .

إن المنهج الذي يحكم حياة مجموعة من البشر هو الذي يحدد قيمة الأرزاق المادية في حياتهم . هو الذي يجعلها عنصر سعادة أو عنصر شقاء . كما يجعلها سبباً للرقي الإنساني أو مزلقاً للارتكاس!

ومن هنا كان التركيز على قيمة هذا الدين في حياة أهله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ . .

وإنما ذكر بن أبي حاتم روايته عن راشد بن سعد وقال عبدان سمعت محمد بن المثنى يقول مات أيفع سنة ست ومائة ، (انظر الإصابة في تمييز الصحابة : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط ١ ، دار الجيل – بيروت ، ١٤١٢ هـ ، ج١/ص٢٦٢) .

(١) سورة يونس الآية ٥٨ .

ومن هنا كان الذين تلقوا هذا القرآن أول مرة يدركون هذه القيمة العليا ، فيقول عمر - رضي الله عنه - عن المال والأنعام : ليس هذا هو الذي يقول الله تعالى :﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾. .

لقد كان عمر - رضي الله عنه - يفقه دينه . كان يعرف أن فضل الله ورحمته يتمثلان بالدرجة الأولى في هذا الذي أنزله الله لهم : موعظة من ربهم ، وشفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين) [1] .

(﴿ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾: أي أن الفرح بفضله وبرحمته أفضل وأنفع لهم مما يجمعونه من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث وسائر متاع الحياة الدنيا ، مع فقدهما ، ولأنه سبب سعادة الآخرة الباقية ، المفضلة على الحياة الدنيا الفانية ، كما اشتهر فيما خطته الأقلام ولاكته الألسنة ، بل لأنه هو الذي يجمع بين سعادة الدارين كما اشتهر فيما حصل بالفعل ، إذ كانت هداية الإسلام بفضل الله وبرحمته سببا لما ناله المسلمون في العصور الأولى من الملك الواسع ، والمال الكثير مع الصلاح والإصلاح ، والعدل والإحسان ، والعلم والعرفان ، والعز الكبير ، فلما صار جمع المال ومتاع الدنيا وفرح البطر به هو المقصود لهم بالذات ، وتركوا هداية الدين في إنفاقه والشكر عليه ،ذهبت دنياهم من أيديهم إلى أيدي أعدائهم) [2].

لطائف ودلالات من الآية :

ونستخلص من هذه الآية أهم لطائفها ودلالاتها ، مما يتصل بالفرح ، وبيان مشروعية الفرح والأمور التي يدخل السرور والفرح في قلوب المؤمنين .

---

(١) في ظلال القران : ج٣/ ص١٨٠١. ١٨٠٢ .

(٢) تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار :ج١١/ ص٣٤٥ .

١. (التعبير في الآية في غاية البلاغة لما فيها من التأكيد والمبالغة في التقرير ، فان أصل المعنى بدونهما : قل ليفرحوا بفضل الله وبرحمته ، فأخر الأمر وقدم عليه متعلقه لإفادة الاختصاص كأنه قال إن كان في الدنيا شيء يستحق أن يفرح به فهو فضل الله ورحمته ، وادخل عليه الفاء لإفادة معنى السببية فصار فيهما فليفرحوا دون ما يجمعون من متاع الدنيا المبين في آخر الآية، ثم أدخل على الأمر (فبذلك) لزيادة التأكيد والتقرير) [١].

٢. هذه الآية الكريمة فيها بيان في مدى مشروعية الفرح والسرور وإظهارهما فقوله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [٢]، فقد أمر الله تعالى هنا بالفرح بفضله ورحمته .

٣. إن الله ـ تعالى ـ أباح لنا الفرح والسرور عند أداء الشعائر والعبادات والمناسبات الإيمانية ، فواجب في حق المسلم أن يفرح بالإسلام والإيمان ويفرح عندما يؤدي الشعائر الإيمانية والمناسبات الإسلامية كالعيدين و تهنئة الإخوان وغيرها من المناسبات .

٤. تشير الآية الكريمة إلى ما يدخل الفرح والسرور إلى قلوب المسلمين ، فالذي يدخل الفرح إلى القلب هو الإيمان والإسلام والعمل بمقتضاهما .

---

(١) نفس المصدر : ج١١/ ص٣٤٥ .

(٢) سورة يونس الآية ٥٨ .

المطلب الثاني : فرح المؤمنين بالعلم النافع :

العلم النافع تركة الأنبياء وتراثهم ، وأهله عصبتهم ووارثهم ، وهو حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور وارياض العقول ولذة الأرواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين، وهو الميزان الذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال .

وهو الحاكم المفرق بين الشك واليقين والغي والرشاد والهدى والضلال ، وبه يعرف الله ويعبد ويذكر ويوحد ويحمد ويمجد وبه اهتدى إليه السالكون ومن طريقه وصل إليه الواصلون ومن بابه دخل عليه القاصدون .

ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه قربة وبذله صدقة ومدارسته تعدل بالصيام والقيام والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام .

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ :

الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب ؛ لان الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين ، وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه .

قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ :

طلب العلم أفضل من صلاة النافلة [1].

فأصحاب العلوم والمعارف المنصفين يفرحون بالعلوم النافعة والمعارف الصادقة كما أشاد بذلك القران الكريم في قوله تعالى :

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : ج٢/ ص١٨٠. ١٨١ بتصرف.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ﴾ [1].

سبب نزول الآية :

نزلت في مؤمني أهل الكتابين ممن أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام [2] وكعب [3] وأصحابهما ، ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلاً : أربعون من نجران ، وثمانية من اليمن ، واثنان وثلاثون من الحبشة.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : إنها نزلت في مؤمني اليهود ممن أسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ [4].

المعنى العام :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ هم المسلمون من أهل الكتاب كعبد اللّه بن سلام وكعبٍ وأضرابهما ومَنْ آمن من النصارى وهم ثمانون رجلاً : أربعون بنجرانَ ، وثمانيةٌ باليمن ،

---

(١) سورة الرعد الآية ٣٦.

(٢) هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ، ثم الأنصاري ، كان حليفاً لهم من بني قينقاع ، وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام ، وكان اسمه في الجاهلية الحصين، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم عبد الله ، وكان إسلامه لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجراً ، روى عنه ابناه : يوسف ومحمد ، وأنس بن مالك ، وزرارة بن أوفى ، توفي عبد الله بن سلام سنة ٤٣ هـ ، انظر (أسد الغابة في معرفة الصحابة : عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي ، ط١ ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت. لبنان ، ج٣/ ص ٢٦٨ .٢٦٩) .

(٣)هو كعب بن ماتع، وهو كعب الأحبار، يكنى أبا إسحاق. أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، كان إسلامه في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، توفي سنة ٣٢هـ ، انظر (أسد الغابة في معرفة الصحابة : ج٤/ ص ٥١٤) ، وانظر (الأعلام للزركلي : ج٥/ ص ٢٢٥) .

(٤) تفسير البحر المحيط : ج٥/ ص ٣٨٦ بتصرف .

واثنانَ وثلاثون بالحبشة ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ إذ هو الكتابُ الموعودُ في التوراة والإنجيل [1]، ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ أي : ومن الطوائف من يكذّب ببعض ما أنزل إليك .

وقال مجاهد [2] ـ رحمه الله ـ : ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ اليهود والنصارى ، من ينكر بعض ما جاءك من الحق .

وهذا كما قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [3]. [4]

وقوله تعالى : ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ ولم يقل ينكرون كله؛ لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف ، وكانوا ينكرون ما هو نعت الإسلام ونعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وغير ذلك مما حرّفوه وبدّلوه من الشرائع [5].

(﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ أي : إنما بعثت بعبادة الله وحده لا شريك له، كما أرسل الأنبياء من قبلي ، ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا۟﴾ أي : إلى سبيله أدعو الناس ، ﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ أي : مرجعي ومصيري) [6] .

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : أبي السعود محمد بن محمد العمادي ، ج٥/ ص ٢٥ .

(٢) هو مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، مولى بني مخزوم : تابعي ، مفسر من أهل مكة ، قال الذهبي : شيخ القراء والمفسرين ، أخذ التفسير عن ابن عباس . رضي الله عنهما . قرأه عليه ثلاث مرات ، يقف عند كل آية يسأله : فيم نزلت وكيف كانت ؟ وتنقل في الأسفار ، واستقر في الكوفة ، ولد سنة ٢١هـ وتوفي سنة ١٠٤ هـ ، انظر (الأعلام للزركلي : ج٥/ ص ٢٧٨).

(٣) سورة آل عمران الآية ١٩٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم : ج٤/ص ٤٦٧ بتصرف.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، حققها وخرج أحاديثها : عبد الرزاق المهدي ، ط ٢ ، ١٤٢٩هـ.٢٠٠٨م ، دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان ، ج٢/ ص ٥٠١ بتصرف .

(٦) المصدر السابق: ج ٤/ ص ٤٦٧ .

ولفضيلة الشيخ العلامة محمد متولي الشعراوي ـ رحمه الله ـ كلام جميل في هذه الآية سنذكره هنا :

(ويقول الحق سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ .

أي : أن أهل التوراة والإنجيل يفرحون بما جاء يا محمد من القرآن ، والإنسان لا يفرح بشيء إلا إذا حقَّق له غايةً تُسْعِده ، ولابُدَّ أن تكون هذه الغاية منشورة ومعروفة .

وهم قد فرحوا بما نزل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛ لأنه حقق لهم ما جاء في كتبهم من نبوءة به .

ومعنى ذلك أن كتبهم قد صدقتْ ، ومَنْ جاء بالرسالة الخاتم صادق ، وكان عليهم أن يكونوا أول المُبَادرين إلى الإيمان به .

ذلك أن الفرحة هي العملية التعبيرية أو النُّزوعية من مواجيد الحب ، والإنسان إنما يفرح بتحقيق أمر طيِّب كان ينتظره .

ولذلك كان يجب أن يُهرولوا للإيمان بالدين الجديد ، وأنْ يعلنوا الإيمان به مثلما فعل كعب الأحبار ، وعبد الله بن سلام ، وسلمان الفارسي [1] الذي جاب أغلب البلاد باحثاً عن الدين الحق .

وهؤلاء هم مجرد أمثلة لِمَنْ أرادوا أنْ يُعبِّروا بالفرحة واستقبال مَدَدِ السماء عَبْر مجيء النبي الخاتم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وأعلنوا البيعة للرسول الجديد كما بشَّرَتْ به الكتب السماوية السابقة على بعثته ، ثم وقفوا موقف العداء من الذين لم يفرحوا بمقْدم الرسول ، ثم غيَّروا ما جاء في كتبهم السماوية طمعاً في السلطة الزمنية .

وعرف مَنْ آمنوا برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذين أنكروا نبوة محمد بن عبد الله قد دَلَّسوا على أنفسهم وعلى غيرهم ، وأتوْا بأشياء لم تكن موجودة في كتبهم المُنزَّلة على رسلهم كادعائهم أن لله أبناء ، وسبحانه مُنزَّه عن ذلك .

ولذلك جاء قول الحق سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾[2].

---

(١) هو الصحابي الجليل سلمان الفارسي ، أبو عبد الله، ويعرف بسلمان الخير، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل عن نسبه فقال: أنا سلمان بن الإسلام. أصله من فارس ، وكان سلمان من خيار الصحابة وزهادهم وفضلائهم، وذوي القرب من رسول الله ، قالت عائشة رضي الله عنها :كان لسلمان مجلس من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل ، حتى كان يغلبنا على رسول الله ، وسئل علي عن سلمان ، فقال : علم العلم الأول والعلم الآخر، وهو بحر لا ينزف ، وهو منا أهل البيت ، وتوفي سنة خمس وثلاثين ، في آخر خلافة عثمان، وقيل : أول سنة ست وثلاثين ، وقيل : توفي في خلافة عمر ، والأول أكثر ، انظر (أسد الغابة في معرفة الصحابة : ج٢/ ص ٤٩٠ . ٤٩١) .

(٢) سورة الرعد الآية ٣٦.

تلك عدالة من القرآن ؛ لأن القرآن لم ينكر الكتب السماوية السابقة بأصولها ، لكنه أنكر التحريف في العقائد ، وأنكر مواقف مَنْ حرَّفوا وادَّعوْا كذباً أن هناك بنوة لله .
هذا التحريف لم يَنَلْ من القرآن إنكاراً لكل ما جاء بالكتب السابقة على القرآن؛ ولكنه أنكر التحريف فقط .
وقد أثبتَ القرآن ما لله وما للرسول ، وأنكر التحريف الذي أرادوا به السلطة الزمنية؛ وادعاء القداسة ، والتجارة بصكوك الغفران وبيع الجنة ، وتلقّي الاعترافات ، وغير ذلك مما لم ينزل به كتاب سماوي .
وحين جاء الإسلام لِيُحرِّم ذلك دافعوا عن سلطتهم التي يتاجرون بها في أمور الدين ، وهي ليست من الدين .

وانظر إلى قول الحق سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ﴾ .

وهذا القول دليلٌ على أن هؤلاء المُغيّرين في الكتب السماوية أو الذين أنكروا وحدانية الله؛ هؤلاء جاء لهم بالقول الفَصْل : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ ﴾

أي : أنه يُقِر بأن هناك ديناً قد اُختِير له من قِبَل مُرَبٍّ؛ ولم يَختَرْ محمد شيئاً أعجبه ليعبده ، ولكنه كرسول من الله يَشْرُف بالانتماء لما جاءه الأمر به من السماء ، وهو لا يشرك به أحد.
ونجد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتعصَّب لِمَا يتعلق بربه؛ وقد يتهاون بما يتعلق بشخصه .
ولذلك وجدنا بعض الملاحدة [1] وقد قالوا له : نحن نؤمن بالله وبالسماء والوحي وبكل شيء، لَكِنّا لا نؤمن بك أنت ، ولم يغضب رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، ولو كان يُدخِل ذاته أو أنانيته في الأمر لَغضِب ، ولكنه لم يغضب .
والدليل على هذا هو أن مواجيده صلى الله عليه وسلم كانت مع الروم المؤمنين بكتاب سماوي ضد المشركين الذين لا يؤمنون بدين سماوي وهم الفُرْس؛ وحزن صلى الله عليه وسلم حين غُلبت الروم ، فنزل إليه القول الحق بنبأ النصر القادم في بِضْع سنين؛ تسليةً له ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [2] .

---

(١) الإلحاد هو مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى ، انظر (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة : ج٢/ ص ٨٠٣) .

(٢) سورة الروم الآية ١. ٦.

وهؤلاء في قلب رسول الله كانوا أقربَ من غيرهم ؛ لأنهم يتبعون ديناً سماوياً ؛ وساعة يرى رائحة صاحب خير يرجحه على صاحب الشر؛ فهو يطلب لهم النصر ويُبشِّره الله بخير نصرهم في بِضْع سنين ، وهم يحملون رائحة الخير، رغم أنهم لم يؤمنوا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ) [1].

فضائل أولي العلم :

وينوه القرآن الكريم بشأن أهل العلم ، ويعبر عنهم بـ ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾ ويضفى عليهم جملة من الفضائل والمزايا الفكرية والإيمانية والأخلاقية كانوا أحق بها وأهلها .
فهؤلاء الذين أوتوا العلم هم الذين ينكشف لهم الحق الذي أنزله الله على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فيرونه واضحا هاديا إلى صراط الله ، يقول تعالى :﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[2].

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [3].
فهنا نجد العلم أثمر الإيمان ، فأثمر الإيمان الإخبات لله تعالى .
وأولوا العلم هؤلاء هم الذين قرنهم القران بأهل الإيمان ، ورفعهم جميعا درجات عنده .
يقول الله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [4].

ورفعة الدرجات تدل على الفضل ، إذ المراد به كثرة الثواب عند الله ، وبها ترتفع الدرجات ، ورفعتها تشمل الحسية والمعنوية ، في الدنيا والآخرة ففي الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت ، وفي الآخرة بعلو المنزلة في الجنة [5].

---

(١) التفسير الشعراوي : الشيخ محمد متولي الشعراوي ، ب ط ، ١٩٩١م ، أخبار اليوم . القاهرة ، ج١٢/ ص ٧٣٧٣ ـ ٧٣٧٤.
(٢) سورة سبأ الآية ٦.
(٣) سورة الحج الآية ٥٤.
(٤) سورة المجادلة الآية ١١.
(٥) العقل والعلم في القرآن الكريم : د. يوسف القرضاوي ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ.١٩٩٦م ، مكتبة وهبة ، ص ٨٩ . ٩١ بتصرف.

صفات لازمة لأولي العلم :

(شخصية صاحب العلم شخصية إسلامية علمية ، وهو متفقة بالإسلام مدرك لحقائقه ، متفاعل مع توجيهاته ، وشخصيته انعكاس للإسلام ، وتطبيق عملي لنصوصه ، وتحقيق واقعي لمبادئه .
وهذا يعني أنْ تتحقق فيه ((الأخلاق الأساسية)) التي دعا إليها الإسلام ، وطالب كلَ مسلم أنْ يتخلق بها ، وأنْ يحولها إلى حقائق حياتية ‘معاشة ،وسلوك واقعي اجتماعي) [١].
وهناك جملة من الصفات اللازمة لأهل العلم نذكر منها :

١. الإخلاص :

أن يقصد صاحب العلم بتعليمه وجه الله ـ تعالى ـ ولا يقصد توصلا إلى غرض دنيوى كتحصيل مال أو جاه أو شهرة أو سمعة أو تميز عن الأشباه أو تكثر بالمشتغلين عليه المختلفين إليه أو نحو ذلك : ولا يشين علمه وتعليمه بشئ من الطمع في رفق تحصل له من مشتغل عليه من خدمة أو مال أو نحوهما وان قل ولو كان على صورة الهدية التي لولا اشتغاله عليه لما أهداها إليه.
وقد صح عن الشافعي ـ رحمه الله ـ انه قال : وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم على أن لا ينسب إلىَ حرف منه [٢].

(وقال ابن مسعود [٣] ـ رضي الله عنه ـ : لا تعلموا العلم لثلاث :
لتماروا به السفهاء .

---

(١) الخطة البرّاقة لذي النفس التوّاقة: د.صلاح الخالدي ، ط ٧ ، ١٤٢٩هـ.٢٠٠٨م ، دار القلم. دمشق ، ص٥٣ .

(٢) المجموع شرح المهذب : الإمام أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي ، حققه وعلق عليه : محمد نجيب ألمطيعي ، ط ١، بدون سنة الطبع ، دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان ، ج١/ ص٦٨ بتصرف .

(٣) هو الإمام الحبر ، فقيه الأمة ، أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البدري حليف بني زهرة ،كان من السابقين الأولين ومن النجباء العاملين ، شهد بدرا وهاجر الهجرتين ، وكان إسلامه قديماً أول الإسلام، حين أسلم بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب، وذلك قبل إسلام عمر بن الخطاب بزمان ، كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود ، توفي بالمدينة سنة ٣٢ هـ ، انظر (أسد الغابة في معرفة الصحابة : ج٣/ ص ٣٩٩. ٤٠٠) .

أو لتجادلوا به الفقهاء .

أو لتصرفوا به وجوه الناس إليكم ، وابتغوا بقولكم وفعلكم ما عند الله فانه يبقى ويذهب ما سواه) [١] .

٢. أن يتجمل بالعلم عمليا :

أن يكون صاحب العلم عاملا بعلمه فلا يكذِب قوله فعله ،لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار ، وأرباب الأبصار أكثر [٢].

(وعن علي ـ رضي الله عنه ـ : يا حملة العلم! اعملوا به؛ فإن العالم من عَلِم ثم عمل ، ووافق علمه عمله ، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم ، تخالف سريرتهم علانيتهم ، ويخالف علمهم عملهم ، يقعدون حلقا يُباهي بعضهم بعضا ؛ حتى إن الرجل يغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه ، أولئك لا تصعد أعمالُهم تلك إلى الله عز وجل) [٣].

وعن أبي برزة الأسلمي[٤] ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيم فعل فيه وعن ماله من أين أكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه)) [٥].

---

(١) جامع العلوم والحكم : الإمام الحافظ الفقيه زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب ،تحقيق :شعيب الأرناؤوط ، وإبراهيم باجس ، ط ١٠ ، ١٤٢٧هـ.٢٠٠٦م ، مؤسسة الرسالة ، ص٧٨.

(٢) المستخلص في تزكية الأنفس : سعيد حوى ، ط ١٣ ، ١٤٢٨هـ.٢٠٠٧م ، دار السلام ، ص٢٢ بتصرف .

(٣) الموافقات في أصول الشريعة : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، ط ١ ، ١٤١٧هـ . ١٩٩٧م ، دار ابن عفان ، ج١/ ص ١٠١.

(٤) أبو برزة الأسلمي اختلف في اسمه واسم أبيه وأصح ما قيل فيه : نضلة بن عبيد قاله أحمد بن حنبل وابن معين . وقال غيرهما : نضلة بن عبد الله ، نزل البصرة وله بها دار وسار إلى خراسان فنزل مرو وعاد إلى البصرة ، ومات بالبصرة سنة ستين قبل موت معاوية . رضي الله عنه . . وقيل : مات سنة أربع وستين . أخرجه أبو نعيم وأبو عمر وأبو موسى ، (أنظر أسد الغابة في معرفة الصحابة : ج٦/ص ٣٥ . ٣٦) .

(٥) رواه الترمذي : ٣٨.كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ١ . باب صفة القيامة : رقم الحديث (٢٤١٧) : ج٤/ ص ٦١٢ .

(وان من شر ما تبتلى به الحياة ، ويبتلى به الناس : العالم الذي يناقض عمله علمه ، ويكذِب فعله قوله ، فهو فتنة لعباد الله ، وهو الذي حذر القرآن منه أهل الإيمان : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [١]) [٢] .

٣. الصدق :

(الصدق صفة أساسية من صفات أهل العلم ، صفة متعمقة في كيانهم ، وتنعكس على حياتهم وتصرفاتهم ، وتظلِل أقوالهم وأعمالهم .

والصدق يحمل معاني القوة والثبات والشدة والوضوح ، وهو ثمرة للإسلام وحقائقه ، وكلما ازداد أهل العلم التزاما بالإسلام ،ازدادوا صدقا وقوة وثباتا)[٣].

(وعندما يعيش أهل العلم حياتهم بالإسلام والعلم صادقين ، يكونون قد صدقوا الله في حياتهم ، ويستحقون الشهادة والثناء من الله ، في قوله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾ [٤])[٥].

٤. الجدية :

(صاحب العلم جادٌ في حياته ، وفي سلوكه ، وفي قضاء وقته ، وهذه الجدية تنعكس على جميع جوانب حياته ، وتلازمه في جميع سنوات عمره .

الإسلام يريد من المسلم أن يكون جادّا ، لا أن يكون لاهيا عابثا لاعبا ، يكون ضائعا مع الضائعين ، يضيع عمره في الأوهام والتفاهات ، ويمضي ساعاته في الغفلة ، والخداع ، واللهو والعبث .

---

(١) سورة الصف الآية ٢.٣.

(٢) الحياة الربانية والعلم :د. يوسف القرضاوي ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ.٢٠٠١م ، مؤسسة الرسالة ، ص١٣٤.

(٣) الخطة البرّاقة لذي النفس التوّاقة : ص٥٧ .

(٤) سورة الأحزاب الآية ٢٣.

(٥) المرجع السابق : ص ٥٩ .

أهل العلم هم عباد الرحمن ، ويجب أن يتحقق فيهم قول الله ـ تعالى ـ :﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴾ [1]) [2].

لطائف الآية :

١. إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ صنف أهل الكتاب صنفين ، فمنهم منصفون يؤمنون بما انزل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويفرحون بالقران الكريم ، وبكل ما هو نافع ومفيد للإنسانية ، ومنهم قد ملئت قلوبهم الحقد والبغضاء ، وهم يحملون الضغينة تجاه القران الكريم والإسلام العظيم ورسوله الأمين ، وهؤلاء هم الذين كفروا من اليهود والنصارى .

٢. قوله تعالى :﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ﴾ ، جامع لكل ما ورد التكليف به ، وفيه فوائد :

أ. أن كلمة "إنما" للحصر ومعناه إني ما أمرت إلا بعبادة الله تعالى ، وذلك يدل على أنه لا تكليف ولا أمر ولا نهي إلا بذلك.

ب. وأن العبادة غاية التعظيم ، وذلك يدل على أن المرء مكلف بذلك.

ج. وأن عبادة الله ـ تعالى ـ لا تمكن إلا بعد معرفته ولا سبيل إلى معرفته إلا بالدليل ، فهذا يدل على أن المرء مكلف بالنظر والاستدلال في معرفة ذات الصانع وصفاته ، وما يجب ويجوز ويستحيل عليه.

د. وأن عبادة الله واجبة ، وهو / يبطل قول نفاة التكليف ، ويبطل القول بالجبر المحض.

ه. قوله تعالى : ﴿ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦ ﴾ وهذا يدل على نفي الشركاء والأنداد والأضداد بالكلية ، ويدخل فيه إبطال قول كل من أثبت معبوداً سوى الله ـ تعالى ـ سواء قال : إن ذلك المعبود هو الشمس أو القمر أو الكواكب أو الأصنام والأوثان والأرواح العلوية وغيره من من الأوثان والطواغيت .

و. قوله تعالى :﴿ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ ﴾ والمراد منه أنه كما وجب عليه الإتيان بهذه العبادات فكذلك يجب عليه الدعوة إلى عبودية الله ـ تعالى ـ وهو إشارة إلى نبوته.

ز. قوله تعالى: ﴿ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ﴾ وهو إشارة إلى الحشر والنشر والبعث والقيامة فإذا تأمل الإنسان في هذه الألفاظ القليلة ووقف عليها عرف أنها محتوية على جميع المطالب المعتبرة في الدين[1].

---

(١) سورة الفرقان الآية ٧٢.

(٢) الخطة البراقة لذي النفس التواقة : ص٦٠ .

المطلب الثالث : فرح المؤمنين بنصر الله تعالى :

قال الله تعالى :﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [٢] .

سبب نزول الآية :

قال المفسرون ـ رحمهم الله تعالى ـ : بعث كسرى جيشا إلى الروم واستعمل عليهم أميرا فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع زيتونهم وكان قيصر بعث رجلا فالتقى بأمير الجيش الفارسي باذرعات وبصري وهي أدنى الشام إلى ارض العرب فغلب فارس الروم وبلغ ذلك النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه بمكة فشق ذلك عليهم ، وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكره أن يظهر الأميون من أهل المجوس على أهل الكتاب من الروم وفرح كفار مكة وشمتوا فلقوا أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : إنكم أهل الكتاب والنصارى أهل الكتاب ونحن أميون وقد ظهر أخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم وأنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله ـ تعالى ـ ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾ [٣]، [٤] .

---

(١) مفاتيح الغيب : الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، ط ١ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ج ١٩/ ص ٤٨.٤٩ .

(٢) سورة الروم الآية ١. ٥.

(٣) سورة الروم الآية ٣.١ .

(٤) أسباب النزول : للإمام الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، تحقيق د.السيد الجميلي ، ط ٧ ، ١٤١٩هـ. ١٩٩٩م ، دار الكتاب العربي ، ص ٢٨٥ بتصرف .

المعنى العام :

(كانت الفرس والروم في ذلك الوقت من أقوى دول الأرض ، وكان بينهما من الحروب والقتال ما يكون بين الدول المتوازنة .
وكانت الفرس مشركين يعبدون النار، وكانت الروم أهل كتاب ينتسبون إلى التوراة والإنجيل وهم أقرب إلى المسلمين من الفرس فكان المؤمنون يحبون غلبتهم وظهورهم على الفرس، وكان المشركون - لاشتراكهم والفرس في الشرك - يحبون ظهور الفرس على الروم.
فظهر الفرس على الروم فغلبوهم غلبا لم يحط بملكهم بل بأدنى أرضهم ، ففرح بذلك مشركوا مكة وحزن المسلمون، فأخبرهم الله ووعدهم أن الروم ستغلب الفرس .

﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾ تسع أو ثمان ونحو ذلك مما لا يزيد على العشر، ولا ينقص عن الثلاث، وأن غلبة الفرس للروم ثم غلبة الروم للفرس كل ذلك بمشيئته وقدره ولهذا قال : ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ﴾ فليس الغلبة والنصر لمجرد وجود الأسباب، وإنما هي لا بد أن يقترن بها القضاء والقدر) [1].

(﴿ وَيَوْمَئِذٍ ﴾ أي يومَ إذْ يغلبُ الرُّومُ على فارسَ ويحلُّ ما وعدَه الله تعالى من غلبتِهم ﴿ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾ وتغليبه من له كتابٌ على من لا كتابَ له وغيظِ من شمِت بهم من كفَّار مكَّة وكون ذلك من دلائلِ غلبةِ المؤمنينَ على الكفَّار ، وقيل : نصرُ الله إظهارُ صدقِ المؤمنينَ فيما أخبرُوا به المشركينَ من غَلَبة الرُّومِ على فارسَ ، وقيل : نصرُه تعالى أنَّه ولَّى بعضَ الظَّالمين بعضاً وفرَّق بين كلمتِهم حتَّى تناقصُوا وتفانوا وفلَّ كلٌّ منهما شوكة الآخرِ وفي ذلك قوَّةٌ . وعن أبي سعيدٍ الخُدري ـ رضي الله عنه ـ أنه وافقَ ذلك يومَ بدرٍ . وفيهِ من نصرِ الله العزيزِ للمؤمنينَ وفرحِهم بذلك ما لا يَخْفى ، والأولُ هو الأنسبُ لقولِه تعالى : ﴿ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ﴾ أنْ ينصرَهُ من عبادِه على عدوِّه ويُغلِّبه عليهِ) [2].

(﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ الذي له العزة التي قهر بها الخلائق أجمعين يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء.﴿ الرَّحِيمُ ﴾ بعباده المؤمنين حيث قيض لهم من الأسباب التي تسعدهم وتنصرهم ما لا يدخل في الحساب) [3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ص٦٣٦.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : ج٧/ ص ٥٠ .

(٣) المرجع السابق : ص ٦٣٦.

(وقد أكد في الآية الكريمة أن هذه الحادثة ستقع على طريق خرق العادة ضد كل القرائن والدلالات الظاهرة وكل القياسات والتقديرات البشرية ، وأنها تكون صنع الله الغالب : ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾) [1].

العلاقة بين الإسلام والنصرانية :

(من الناحية السياسية أن الإسلام كان حسن الصلة بالنصارى ، وأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما أوذي أصحابه أشار إليهم بالهجرة إلى الحبشة ، وهي يومئذ دولة نصرانية ، فذهبوا إليها وهم يرون عيسى وأمه من عباد الله الصالحين !!.
ثم جاءت هزيمة الروم أمام المجوس ، فحزن لها المسلمون وشمت فيهم عبدة الأوثان ، وكانت هزيمة النصارى شديدة بعيدة المدى خسروا فيها مصر واليمن والشام ، ودفعوا غرامات مهينة من المال والحرمات .. !
ووثق أهل الأرض أن شمس الروم غربت ومستقبلهم ضاع .
والصوت الوحيد الذي كابر هذه النتائج ووقف ضدها هو صوت القران الكريم في مكة ،فقد أعلن في يقين أن هذه الهزيمة عارضة وسوف تنتهي في سنوات !!﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [2]. [3]
إن هذه الآيات تحدت واقعا عالميا ذلّ فيه النصارى وعزّ فيه المجوس ،ما شكَ فيه أحد ، ومع ذلك فان الوحي ينزل جازما بأن هذا الواقع الصارخ سيزول في سنين تعد على الأصابع .
وصدقت الأيام النبوءة القرآنية) [4] .

---

(١) دراسات قرآنية : للعلّامة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، إعداد : سيد عبد الماجد الغوري ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ.٢٠٠٢ م ، دار ابن الكثير . دمشق ، ص٢٩٦.

(٢) سورة الروم الآية ٦.٢ .

(٣) اعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني : د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ط ٣ ، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م ، دار عمار . عمان . الأردن ، ص٣٨١.٣٨٣ .

(٤) نحو تفسير موضوعي لسور القران الكريم : محمد الغزالي ، ط ٩ ، ١٤٢٧هـ.٢٠٠٧م ، دار الشروق . القاهرة ، ص٣١١.٣١٢.

فرح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

إن إعلاء كلمة الله ـ تعالى ـ كان المقصد الرئيسي في معارك الإسلام مع خصومه فعلى المؤمن أن يفرح عندما يرى إخوانه وأحباءه المؤمنين في وحدة وعزة وعافية ، وأنهم منصورون على الباطل وأهله .

وعند دراستنا للسيرة النبوية الشريفة نرى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يسره ويفرحه النصر على الباطل المتمثل في الكفر ، وضلال المشركين .

بعد أن فتحت خيبر أمام الجيش الإسلامي بقيادة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

جاء مجموعة من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قادمين من الحبشة يقودهم جعفر بن أبي طالب [1] ـ رضي الله عنه ـ إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ففرح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقدومهم كما ذكر في كتب السيرة ؛ (أَنّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ـ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ـ يَوْمَ فَتْحِ خَيْبَرَ فَقَبّلَه رَسُولُ اللّهِ ـ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ـ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَأَلْزَمَهُ وَقَالَ : (مَا أَدْرِي بِأَيّهِمَا أَنَا أُسَرّ: بِفَتْحِ خَيْبَرَ . أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ) [2]؟.

فحري بالمسلمين أن يقرُ عيني رسولهم بالنصر في ساحات الجهاد والبطولة والفداء .

والنصر المطلوب من المسلمين يشمل جميع نواحي الحياة ؛ القتالية والاقتصادية والسياسية والعلمية ، وغيره من الميادين .

---

(١) هو جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخو علي بن أبي طالب لأبويه، وهو جعفر الطيار، وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم خلقاً وخلقاً، أسلم بعد إسلام أخيه علي بقليل ، استشهد في معركة مؤتة سنة ٨ هـ ، انظر (أسد الغابة في معرفة الصحابة : ج١/ ص ٤٢١ ـ ٤٢٢) .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام : أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعارفي ، تحقيق : مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، ط ٢ ، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م ، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ، ص ٧١١ .

المطلب الرابع : فرح الشهداء الأبرار :

قال الله تعالى :﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

سبب نزول الآية :

(عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ إخواننا إنا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله ـ عز وجل ـ : أنا ابلغهم عنكم فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾))[2])[3].

المعنى العام :

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٩ .١٧٠ .

(٢) مسند أبي يعلى : أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي ، تحقيق : حسين سليم أسد ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ. ١٩٨٤ م ، دار المأمون للتراث – دمشق ، رقم الحديث (٢٣٣١) ، ج٤/ ص ٢١٩ .

(٣) أ سباب النزول للإمام الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد الو احدي النيسابوري : ص١٠٩ .

(﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي : ولا تظنن يا محمد ، أو أيها السامع لقول المنافقين الذين ينكرون البعث ، أو يرتابون ، فيؤثرون الدنيا على الآخرة ، كون الذين استشهدوا في سبيل الله ، لإعلاء دينه ، ﴿ أَمْوَٰتًۢا ﴾ قد فقدوا الحياة ، وصاروا عدما لا يحسون ، ولا يتنعمون ﴿ بَلْ ﴾ هم ﴿ أَحْيَآءٌ ﴾ في عالم آخر غير هذا العالم هو خير للشهداء ، لما فيه من الكرامة ، والشرف مكرمون ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ من نعيم الجنة غدوًا وعشيا)[1].

(﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الأبدية والقرب من الله تعالى والتمتع بنعيم الجنة)[2].

(فهم يستقبلون رزق الله بالفرح؛ لأنهم يدركون أنه ﴿ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ عليهم . فهو دليل رضاه وهم قد قتلوا في سبيل الله . فأي شيء يفرحهم إذن أكثر من رزقه الذي يتمثل فيه رضاه؟ ثم هم مشغولون بمن وراءهم من إخوانهم؛ وهم مستبشرون لهم؛ لما علموه من رضا الله عن المؤمنين المجاهدين) [3].

(﴿ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ بدل من الذين ، والمعنى : إنهم يستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة وحال من تركوا من خلفهم المؤمنين ، وهو إنهم إذا ماتوا أو قتلوا كانوا أحياء حياة لا يكدرها خوف ، ولا وقوع محذور ولا حزن على فوات محبوب) [4].

من هم الشهداء :

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القران : الشيخ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلويّ الشافعي ، إشراف ومراجعة :د.هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، ط١ ، ١٤٢١هـ.٢٠٠١م ، دار طوق النجاة. بيروت. لبنان ، ج ٥/ ص٢٦٥.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي : ج١/ ص ١٩٤ .

(٣) في ظلال القران : ج١/ ص ٥١٨ .

(٤) المصدر السابق : ج١/ ص١٩٤ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [1] ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : ((مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ قَالَ : إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ قَالُوا فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ[2]فَهُوَ شَهِيدٌ)) [3].

عن سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ[4] ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : ((مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ))[5].

(قال العلماء ـ رحمهم الله ـ : المراد بشهادة هؤلاء كلهم ، غير المقتول في سبيل الله ، أنهم يكون لهم في الآخرة ثواب الشهداء ، وأما في الدنيا ، فيغسلون ويصلى عليهم)[6].

فضائل الشهداء :

ذكر في القران الكريم والسنة المطهرة فضائل عديدة للشهداء ، وأن الله تعالى أعدّ للشهداء ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

---

(١) هو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، أسلم أبو هريرة عام الخيبر وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لزمه وواظب عليه ،كان من أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال البخاري روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من بين صاحب وتابع وممن روى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر وغيرهما رضي الله عنهم جميعا ، توفي سنة ٥٧ هـ ، انظر (الاستيعاب في معرفة الأصحاب : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ، دار الجيل – بيروت ، ج٤/ ص ١٧٧١).

(٢) أي الأمراض الباطنية التي تصيب الانسان المسلم .

(٣) أخرجه مسلم :١٤.كتاب الديات عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٥١ ـ باب بيان الشهداء : رقم الحديث (١٩١٩) : ج٣/ ص ١٥٢١ .

(٤) هو سعيد بن زيد بن عمرو القرشي العدوي وهو ابن عم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يجتمعان في نفيل أمه فاطمة بنت بعجة بن مليح الخزاعية وكان صهر عمر زوج أخته فاطمة بنت الخطاب ، أسلم قديما قبل عمر هو وامرأته فاطمة بنت الخطاب وهي كانت سبب إسلام عمر ـ رضي الله عنه ـ ، وكان من المهاجرين الأولين ، توفي سنة ٥٠ هـ ، انظر (أسد الغابة في معرفة الصحابة : ٤٥٦ / ٢) .

(٥) رواه مسلم : ١٤.كتاب الديات عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ٥١ ـ باب : بيان الشهداء : رقم الحديث (٤٩١٨) : ج٣/ ص ١٥٢١ .

(٦) فقه السنة :الشيخ سيد سابق ، تحقيق : الشيخ العلامة ناصر الدين الألباني ، ط ١ ، ١٤٢٩هـ.٢٠٠٨م ، مؤسسة الرسالة ـ دمشق ـ سوريا ، ج٣/ ص ٨٧ .

قال الله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾[2].

والشهداء مع أنهم يدخلون الجنة ؛ أمنون من الفزع الأكبر ، ويغفر له بأول قطرة من دمه ، ويشفع في سبعين من أهل بيته كما ورد عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : ((إن للشهيد عند الله عز و جل خصالا يغفر له في أول دفقة من دمه و يرى مقعده من الجنة و يحلى عليه حلة الإيمان و يزوج من الحور العين و يجار من عذاب القبر و يأمن يوم الفزع الأكبر و يوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا و ما فيها و يزوج اثنين و سبعين زوجة من الحور العين و يشفع في سبعين إنسان من أقاربه))[3] .

---

(١) سورة التوبة الآية ١١١.

(٢) سورة محمد الآية ٤. ٦ .

(٣) شعب الإيمان : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول : دار الكتب العلمية – بيروت : الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ : الباب السادس والعشرون من شعب الإيمان وهو باب في الجهاد : رقم الحديث (٤٢٥٤) ص٤/٢٥ .

المبحث الثاني
فرح المنافقين

المطلب الأول : تعريف المنافقين :

إن شرَ ما أبتلية به الإنسانية على وجه العموم والمسلمين على وجه الخصوص هو الابتلاء بمرض النفاق والمنافقين .

(وان أخطر المصائب التي حلت بالمسلمين في تاريخهم الغابر ، وفي واقعهم المعاصر ، إنما حلت بهم عن طريق النفاق والمنافقين ، وبوسائل الكيد التي قام بها أو كان مطيّة لها المقنعون بأقنعة الإسلام زورا وبهتانا ، وهم كافرون به ، أو مرتابون فيه ، يعملون لتهديمه من داخل صفوف المسلمين ، أو يخادعون المؤمنين ليأمنوا في ظلهم ، أو ليغنموا معهم من مغانمهم وليشاركوهم في منافع ومصالح ، أو سلطان وقوة في الأرض)[١].

وقبل أن نتعرض لبيان حقيقة المنافقين لابد أن نعرف المدلول اللغوي والاصطلاحي للنفاق.

النفاق في اللغة :

(النفاق اسم إسلامي ، لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه) [٢].

---

(١) ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ط ١ ، ١٤١٤هـ.١٩٩٣م ، دار القلم ، دمشق ، ج١/ ص١٣ .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر : الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير ، تحقيق : الشيخ

وان كان أصله في اللغة مأخوذ من النفق (والنفق بالفتحتين سرب في الأرض يكون له مخرج من موضع آخر) [١] .

قال الراغب الأصفهاني ـ رحمه الله ـ :

(والنفق : الطريق النافذ ، والسرب في الأرض النافذ فيه ، قال الله تعالى:﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [٢] .

ومنه : نافقاء اليربوع ، وقد نافق اليربوع ، ونفق ، ومنه : النفاق ، وهو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب ، وعلى ذلك نبه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[٣] أي : الخارجون من الشّرع ، وجعل الله المنافقين شرا من الكافرين ، فقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [٤]) [٥].

معنى النفاق في الاصطلاح :

خليل مأمون شيحا ، ط ٣ ، ١٤٣٠هـ.٢٠٠٩م ، دار المعرفة . بيروت. لبنان ،ج٢ / ص٧٨٠ .

(١) المصباح المنير : ص ٢٣٦.

(٢) سورة الأنعام الآية ٣٥ .

(٣) سورة التوبة الآية ٦٧.

(٤) سورة النساء الآية ١٤٥.

(٥) المفردات في غريب القرآن : ص ٥٠٤ .

(فتعريف النفاق وفق المعنى الإسلامي : هو إظهار الإسلام باللسان ، وادّعاء الإيمان كذبا وزورا ومخادعة للمؤمنين ، مع إبطان الكفر بكل أركان القاعدة الإيمانية ، أو ببعض منها ممّا يجعل جاحده كافرا ، ويدل على النفاق أن يدَعي الإنسان الإسلام ولا يعمل به) [١] .

وهذا الوصف ينطبق على كل من أسلم وأظهر انقياده لتعاليم الإسلام ، وكان الكفر والفساد وهدم الإسلام ودولته ديدنه باطنا .

(النفاق من أخسّ الصفات ، وهو ازدواج في الشعور والسلوك يبدأ بأن يكون المرء ذا وجهين ولا يزال ينمو حتى يكون صاحبه كالحرباء التي تصطبغ بألوان شتى حسب الوسط التي تكون فيه والكذب والحلف عليه من أول أخلاق المنافقين .

وهم يقتربون أو يبتعدون حسب هبوب الريح التي تحملهم هنا أو هناك ، فليس لهم محور ثابت يدورون حوله ، أو وجهة محددة يرتبطون بها إنما هي منافعهم الخاصة التي يرنون إليها ولا يتحولون عنها)[٢].

---

(١) ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ : ج١/ص ٥٣ .

(٢) نحو تفسير موضوعي لسور القران الكريم : ص ٤٦٠.

المطلب الثاني : صور من نفاق المنافقين :

إن للنفاق صور شتى وملامح كثيرة ، ويرجع ذلك كله إلى نفسية المنافق ؛ حيث أنه في غاية الخبث والرزيلة .

وصفهم الله تعالى بأوصاف في غاية الدقة والوضوح ومن هذه الأوصاف أنهم وصفوا بالمرضى كما في قوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (١).

وهذا المرض يشمل جميع مناحي حياة المنافقين يشمل أفكارهم وأبدانهم وسلوكهم .

إن المنافقين (في طبيعتهم آفة . في قلوبهم علة . وهذا ما يحيد بهم عن الطريق الواضح المستقيم . ويجعلهم يستحقون من الله أن يزيدهم مما هم فيه : ﴿ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ . .

فالمرض ينشىء المرض ، والانحراف يبدأ يسيراً ، ثم تنفرج الزاوية في كل خطوة وتزداد . سنة لا تتخلف . سنة الله في الأشياء والأوضاع ، وفي المشاعر والسلوك . فهم صائرون

---

(١) سورة البقرة الآية ١٠.

إذن إلى مصير معلوم . المصير الذي يستحقه من يخادعون الله والمؤمنين : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ . .)[1] .

إن المنافقين يظهرون بصور مختلفة وذلك لتحقيق مآربهم الحقيرة وأغراضهم الفاسدة ، ومن أهم هذه الصور الكذب والخداع والإفساد والتحاكم إلى الطاغوت وموالاة أعداء الإسلام إلى غير ذلك من صفات وسلوكيات بغيضة وحاقدة يمارسها المنافقون للنيل من الإسلام وأهله .

وللتوضيح أكثر نسلط الضوء على بعض هذه الصور :

١. الكذب :

الكذب من الصفات البارزة في شخصية المنافق وهي من أول صفات المنافقين ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾[2] .

(وفي هذه الآية رماهم الله تبارك وتعالى بالكذب في أوضح صورة ..الكذب في الإيمان والكذب في العقيدة .. ويبين لرسوله وللمؤمنين أن المنافقين أنما هم قوم اتصفوا بالكذب حتى لا يغتروا بالأيمانات التي يقسمونها .. فيقول جلت قدرته : ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾ ..يشير الله تعالى إلى حلفهم بالله أنهم مؤمنون ليموهوا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ولكن الله تعالى يؤكد لهم أنهم ليسوا منهم .. وقد يتساءل إنسان ما : إذن ما الداعي لهذا الادعاء الكاذب ؟ .. والله تعالى لم يدع مجالا لسؤال أحد فقال مجيبا على ذلك : ﴿ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ ... ولكنهم قوم يظهرون أيمانهم فرقا ورعبا وخوفا منكم أن تفعلوا بهم كما تفعلون بالكافرين)[3].

---

(١) في ظلال القرآن : ج١/ ص ٤٣ .

(٢) سورة التوبة الآية ٥٦.

(٣) المنافقون وشعب النفاق :حسن عبد الغني المحامي ، ط١ ، ١٤٠١هـ.١٩٨١م ، دار البحوث العلمية. الكويت ، ص ١٨٣ .

٢. الخداع :

قال الله تعالى :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾[1].

قال سيد قطب ـ رحمه الله ـ :

(إنهم يدّعون الإيمان بالله واليوم الآخر . وهم في الحقيقة ليسوا بمؤمنين . إنما هم منافقون لا يجرؤون على الإنكار والتصريح بحقيقة شعورهم في مواجهة المؤمنين .
وهم يظنون في أنفسهم الذكاء والدهاء والقدرة على خداع هؤلاء البسطاء؛ ولكن القرآن يصف حقيقة فعلتهم ، فهم لا يخادعون المؤمنين ، إنما يخادعون الله كذلك أو يحاولون :

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ . .

وفي هذا النص وأمثاله نقف أمام حقيقة كبيرة ، وأمام تفضل من الله كريم . . تلك الحقيقة هي التي يؤكدها القرآن دائماً ويقررها ، وهي حقيقة الصلة بين الله والمؤمنين . إنه يجعل صفهم صفه ، وأمرهم أمره . وشأنهم شأنه . يضمهم سبحانه إليه ، ويأخذهم في كنفه ، ويجعل عدوهم عدوه ، وما يوجه إليهم من مكر موجهاً إليه - سبحانه - وهذا هو التفضل العلوي الكريم . . التفضل الذي يرفع مقام المؤمنين وحقيقتهم إلى هذا المستوى السامق؛ والذي يوحي بأن حقيقة الإيمان في هذا الوجود هي أكبر وأكرم الحقائق ، والذي يسكب في قلب المؤمن طمأنينة لا حد لها ، وهو يرى الله - جل شأنه - يجعل قضيته هي قضيته ، ومعركته هي معركته ، وعدوه هو عدوه ، ويأخذه في صفه ، ويرفعه إلى جواره الكريم . .
فماذا يكون العبيد وكيدهم وخداعهم وأذاهم الصغير؟!
وهو في ذات الوقت تهديد رهيب للذين يحاولون خداع المؤمنين والمكر بهم ، وإيصال الأذى إليهم . تهديد لهم بأن معركتهم ليست مع المؤمنين وحدهم إنما هي مع الله القوي

---

(١) سورة البقرة الآية ٨ـ١٠ .

الجبار القهار . وأنهم إنما يحاربون الله حين يحاربون أولياءه ، وإنما يتصدون لنقمة الله حين يحاولون هذه المحاولة اللئيمة .

وهذه الحقيقة من جانبيها جديرة بأن يتدبرها المؤمنون ليطمئنوا ويثبتوا ويمضوا في طريقهم لا يبالون كيد الكائدين ، ولا خداع الخادعين ، ولا أذى الشريرين . ويتدبرها أعداء المؤمنين فيفزعوا ويرتاعوا ويعرفوا من الذي يحاربونه ويتصدون لنقمته حين يتصدون للمؤمنين . .

ونعود إلى هؤلاء الذين يخادعون الله والذين آمنوا بقولهم : آمنا بالله وباليوم الآخر . ظانين في أنفسهم الذكاء والدهاء . . ولكن يا للسخرية! يا للسخرية التي تنصب عليهم قبل أن تكتمل الآية :﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ . . إنهم من الغفلة بحيث لا يخدعون إلا أنفسهم في غير شعور! إن الله بخداعهم عليم؛ والمؤمنون في كنف الله فهو حافظهم من هذا الخداع اللئيم . أما أولئك الأغفال فهم يخدعون أنفسهم ويغشونها . يخدعونها حين يظنون أنهم أربحوها وأكسبوها بهذا النفاق ، ووقوها مغبة المصارحة بالكفر بين المؤمنين . وهم في الوقت ذاته يوردونها موارد التهلكة بالكفر الذي يضمرونه ، والنفاق الذي يظهرونه ، وينتهون بها إلى شر مصير!)[1].

٣. الإفساد في الأرض :

قال الله تعالى :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[2] .

وجاء في تفسير هذه الآية أن بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ تنبهوا لهؤلاء المفسدين وما يمارسونه من الأعمال الفاسدة فقالوا للمنافقين : (لا تسعوا في الأرض بالإفساد بإثارة الفتن ، والكفر والصد عن سبيل الله .

---

(١) في ظلال القرآن : ج١/ ص٤٢.٤٣ .

(٢) سورة البقرة الآية ١١.١٢.

قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : الفساد في الأرض هو الكفر ، والعمل بالمعصية ، فمن عصى الله فقد أفسد في الأرض ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴾ أي ليس شأننا الإفساد أبدا ، وإنما نحن أناس مصلحون نسعى للخير والصلاح فلا يصح مخاطبتنا بذالك ، قال البيضاوي[١] ـ رحمه الله تعالى ـ : تصوروا الفساد بصورة الصلاح ، لما في قلوبهم من المرض فكانوا كمن قال الله فيهم :﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ ﴾[٢] ، ولذلك ردّ الله عليهم أبلغ ردّ بتصدير الجملة بحرفي التأكيد ﴿ألا﴾ المنبهة و﴿إنَ ﴾ المقررة ، وتعريف الخبر ، وتوسيط الفصل ، والاستدراك بعدم الشعور فقال الله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾[٣]أي ألا فانتبهوا أيها الناس إنهم هم المفسدون لا غيرهم ، ولكن لا يفطنون ولا يحسون ؛لانطماس نور الإيمان في قلوبهم)[٤].

٤. التحاكم إلى الطاغوت :

---

(١) هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي ،صاحب الطوالع والمصباح في أصول الدين والغاية القصوى في الفقه والمنهاج في أصول الفقه، ومختصر الكشاف في التفسير وشرح المصابيح في الحديث كان إماما مبرزا نظارا صالحا متعبدا زاهدا ،واختلف في سنة وفاته فقيل سنة ٦٨٥هـ ، وقيل سنة ٦٩١هـ ، (أنظر طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي ، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو ، ط٢ ، ١٤١٣هـ ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ، ج٨/ ص ١٤٨) .

(٢) سورة فاطر الآية ٨ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٢.

(٤) صفوة التفاسير : العلّامة محمد علي صابوني ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ.٢٠٠٤م ، دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان ، ج١/ ص٢٨ ، وأنظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي : ج١/ ص٣٢ .

قال الله تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[1].

(فمن علاماتهم التحاكم إلى الطاغوت هي أوضح سمات المنافقين ، فالآية المباركة تظهر بتعجب حال المنافقين الذين كفروا ويظهرون الإيمان ، ومحل التعجب أنهم كذبوا أنفسهم بأنفسهم حين رفضوا التحاكم لدى أهل الحق والإيمان ، وانصرفوا عنهم إلى ذوي الباطل والكفران ، مع أن الإسلام يأمرهم بالابتعاد عن الضلالة والضالين والمبطلين ولكن الواقع طغا على التمويه وأبطل ما كانوا يدعون) [2].

(وإرادتهم التحاكم إلى الطاغوت ضلال بعيد عن دائرة الإيمان والعمل بمقتضاه ، وتحاكمهم الفعلي إلى الطاغوت ضلال بعيد عن صراط الإسلام ، وكل من هذين الضلالين يطابق مراد الشيطان فيهم ، إذ هو يريد أن يجدهم ضالين عن دائرة الإيمان ، وعن صراط الإسلام ضلالا بعيدا)[3].

---

(١) سورة النساء الآية ٦٠.

(٢) المنافقون في القران الكريم : حسين الصدر ، ط١ ، ١٩٧٦م ، مطبعة أسعد . بغداد ، ص٧٦ .

(٣) ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ : ج١/ ص ٤٨٦ .

المطلب الثالث : خطورة المنافقين على الأمة الإسلامية :

لقد كان للنفاق آثار سلبية على الأمة الإسلامية خاصة والإنسانية عامة فالمنافقون لعبوا دوورا خطيرا في هدم لبنات الإسلام لبنة لبنة ابتداء من أسس الإيمان والعقيدة وانتهاء بالسلوك والأخلاق .

(ولقد كان للمنافقين دور كبير وخطير في نشر الدسائس وإثارة المشكلات في المجتمع الإسلامي الأول ، فنالوا من مجتمع الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ما لم تنله جبهة الكفر والشرك ، فكان خطرهم أشدّ من خطر من يصرح بكفره وشركه)[1] .

قال الله تعالى :﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾[2].

فان الله ـ تعالى ـ يخبرنا ما عليه هؤلاء المنافقون من مرض واضطراب بحيث أنه لو خرج هؤلاء المنافقون معكم أيها المؤمنون إلى الغزو والجهاد في سبيل الله تعالى ما زادوكم إلا شرا وفسادا ، وبث الفتن فيما بينكم ، وتوهين معنوياتك ، وأصل الخبال : اضطراب

---

(١) تأملات في آيات القران : إبراهيم نعمة ، ط١ ، ١٤٠٥هـ.١٩٨٥م ، مطبعة الزهراء الحديثة ـ موصل ـ العراق ، ج١/ ص ٤٢.٤٣ .

(٢) سورة التوبة الآية ٤٧.٤٨ .

ومرض يؤثر في العقل كالجنون ، وهذا المرض الذي أدّى بهم إلى الإسراع في بثِ الفتن والشر ، وإرادة الفساد والكيد للمسلمين [١].

(إن معظم النكبات والفتن الداخلية التي تعرّض لها المسلمون خلال تاريخهم الطويل قد كانت بسبب الدسائس والمكايد التي تولّى المنافقون والمنخدعون بهم كبرها ، فعنهم نشأت معظم الفرق المنحرفة المرتدَة عن الإسلام .

والمنافقون في التاريخ الإسلامي هم الذين أحكموا دسائسهم ، فأسَسوا فرقة الباطنية المرتدة الملحدة ، التي كادت للإسلام والمسلمين أيَما كيد خلال قرون عديدة ، وكان لها صلات سرّيّة باليهود الذين يحقدون على الإسلام والمسلمين ، ويدبرون ضدّهما كل ما يستطيعون من كيد ، وكان من الباطنيين دعم وتأييد لليهود في مختلف مجالات الحياة .

كم من هزيمة كان المنافقون سببها ، وكم من فتنة أطلق المنافقون شرارتها ، وأوقدوا نارها، وكم من ضلالة فكرية أو عملية كان المنافقون هم الناشرون لها ، وكم من فساد خلقي أو سلوكي كان المنافقون هم العاملين عليه ، وكم من خيانة لدولة المسلمين خانها المنافقون ، فتمكّن بسببها أعداؤهم من النكاية بهم ، والإضرار الشديد ببلادهم وأموالهم ودينهم .

إن معظم الذين ساروا في ركاب الأعداء ، فنقلوا لهم الأخبار ، وفتحوا لهم الأبواب في السلم والحرب ، وثبَطوا روح الجهاد في سبيل الله ضدهم ،قد كانوا من صنف المنافقين)[٢].

(هؤلاء استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، فلا يعرفون صدقة يتصدقون بها أو كلمة طيبة يقولونها ، ولا إصلاح بين الناس يتقربون به إلى الله ، بل يغضبهم أن يروا المحبة تزداد والتفاهم يسود ، لان صناعتهم نشر البغضاء بين الناس ، ونزعت من قلوبهم الرحمة فهم قساة القلوب وأبعد ما يكون العبد عن الله حين يقسو قلبه ، يسعدهم أن يفرقوا بين المرء وزوجه ، وبين الأخ وأخيه ، يحزنهم أن يروا تآلف القلوب ، غذاؤهم دماء البشر ولحومهم، أحب الطعام إلى الواحد منهم أن يأكل لحم أخيه ميتا ، ومن هذا الذي يستريح لهذا المنظر المقزز أو المشهد المنفر ؟ !

ولذلك فهم مكروهون مبغضون يحاول الناس أن يتلافوا شرهم القريب والبعيد)[١].

---

(١) تفسير القران الكريم وإعرابه وبيانه : الشيخ محمد علي طه الدرة ، ط١ ، ١٤٣٠هـ.٢٠٠٩م ، دار ابن كثير . دمشق ، ج٤/ ص١٦١ بتصرف .

(٢) ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ : ج١/ ص ١٨.١٩ .

(هؤلاء هم الأعداء الحقيقيون لأهل الإيمان ، وعلى المؤمنين ـ مع احتفاظهم بأسلوبهم الإيماني ـ ألا يقصروا في صيانة أنفسهم منهم وحمايتها .

قاتلهم الله أنى يؤفكون ووقانا الله من شرهم ومن مكرهم ومن كيدهم ... آمين يا معين) [٢].

المطلب الرابع : فرح المنافقين بما يحل بالمؤمنين من المصائب :

قال الله تعالى :﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [٣].

لقد كان المنافقون في المدينة يترقبون ما يحدث للمسلمين ، فإذا كان المسلمون في نعمة ورخاء أصاب المنافقون الغم والحزن ، وان كان على العكس من ذلك أصاب المنافقون الفرح والسرور وهذا كان ديدن المنافقين في كل عصر وفي كل ملة .

ولهذا أخبرنا الله عز وجل عن حالهم فقال الله تعالى : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [٤].

(أي إن أصابكم ما يسركم من رخاء وخصب ونصرة وغنيمة ونحو ذلك ساءتهم ﴿ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ ﴾ أي وان أصابكم ما يضركم من شدة وجدب وهزيمة وأمثال ذلك

---

(١) خواطر إيمانية ودعوية : جمعة أمين عبد العزيز ، ط١ ، ١٤٣٠هـ.٢٠٠٩م ، دار الدعوة. الإسكندرية . مصر ، ص٢٠١ .

(٢) أضواء قرآنية في سماء الوجدان : فتح الله كولن ، المترجم : أورخان محمد علي ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، مطبعة جاغلايان /ازمير. تركيا ، ص ٣٦٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٢٠.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٢٠.

سرتهم ، فبين تعالى بذلك فرط عداوتهم حيث يسوءهم ما نال المؤمنين من الخير ويفرحون بما يصيبهم من الشدة)[1].

(وعبر سبحانه بالمس في الخير ، وبالإصابة في الشر ، وذلك للإشارة إلى أن الحسنة تسوء الأعداء الحاسدين ، ولو كانت بأيسر الأشياء ؛ ولو مسَا خفيفا وأما السيئة ؛ فإذا تمكَنت الإصابة إلى الذي يرثي له الشامت ، فإنهم لا يرثون ، بل يفرحون ويسرون)[2].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ :

(وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب، ونصر وتأييد، وكثروا وعزّ أنصارهم، ساء ذلك المنافقين، وإن أصاب المسلمين سَنَة – أي: جَدْب - أو أُديل عليهم الأعداء، لما لله في ذلك من الحكمة، كما جرى يوم أُحُد، فَرح المنافقون بذلك)[3].

إن المنافقين ماضون في تنفيذ أحقادهم ومؤامراتهم حتى يروا المؤمنين قد أصابهم الإحباط والفشل في الميادين شتى وهم يريدون أن يروا المسلمين بلا دولة ولا سيادة ولا اقتصاد ، فهل نقف مكتوفي الأيدي أم نسعى جادين في إفشال ما يخططون له ، وإدخال الغم والهم في قلوبهم وذلك بانجازاتنا وأعمالنا الحضارية الهادفة .

وأشارت الآية الكريمة إلى نقطتين في غاية الأهمية وهما التزام الصبر والتقوى تجاه ما يفعله المنافقون من العداء والشر ؛ قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (أي إن صبرتم على أذاهم واتقيتم الله في أقوالكم

---

(١) صفوة التفاسير : ج١/ ص١٨٧ . ١٨٨ .

(٢) تفسير القران الكريم وإعرابه وبيانه : ج٢/ ص ٢٢٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ج١/ ص ١٠٩ .

وأعمالكم لا يضركم مكرهم ، وكيدهم)[1] ، (فضمن الله ـ عز وجل ـ للمؤمنين النصر إن صبروا ، وأعلمهم أن عدوانهم وكيدهم غير ضار لهم)[2].

المطلب الخامس : فرح المنافقين المرائين :

قال الله تعالى :﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3].

أسباب نزول الآية :

١. نزلت هذه الآية في أهل الكتاب ، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : ((أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سأل اليهود عن شيء ، فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره ، فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا بذلك إليه ، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ما سألهم عنه))[4].

٢. عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : أن رجالاً من المنافقين في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانوا إذا خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الغزو وتخلفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإذا قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا [5].

قال سيد قطب ـ رحمه الله ـ :

---

(١) صفوة التفاسير : ج١/ص ١٨٨ .

(٢) معاني القران وإعرابه المسمى المختصر في إعراب القران ومعانيه : أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي ، علق عليه ووضع حواشيه : أحمد فتحي عبد الرحمن ، ط١ ، ١٤٢٨هـ.٢٠٠٧م ، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ، ج١/ ص ٣٥٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٨٨.

(٤) أخرجه مسلم : ٥٠ .كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، رقم الحديث : (٢٧٧٨) ، ج٤/ ص ٢١٤٣ .

(٥) أخرجه مسلم : ٥٠ .كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، رقم الحديث : (٢٧٧٧) ، ج٤/ ص ٢١٤٢ .

(ومسألة نزول آية بعينها في مسألة بعينها ليست قطعية في هذا . فكثيراً ما يكون الذي وقع هو الاستشهاد بالآية على حادثة بعينها . فيروى أنها نزلت فيها . أو تكون الآية منطبقة على الحادثة فيقال كذلك : إنها نزلت فيها)[1].

فالآية الكريمة تنطبق على كل شخص إذا كان ذلك صفته كما هو مقرر عند جمهور العلماء حيث قالوا ـ رحمهم الله تعالى ـ : (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)[2].

المعنى العام :

إن الله تعالى يصور لنا حال أولئك المنافقين الذين طالما أرادوا أن يحمدهم الناس على أعمالهم الفاسدة التي يراؤون الناس بها[3].

قال الله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[4]، أي (لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق وإظهار الحق والإخبار بالصدق ، بمفازة بمنجاة من العذاب أي فائزين بالنجاة منه)[5].

(وقد صرَح الله ـ سبحانه ـ بهلاكهم ، فقال سبحانه : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ أي : إذا كانوا بهذا الوصف الذي وصفوا به ، وهو الضلال المبين فلا تحسبنهم بمفازة أي بمنجاة

---

(١) في ظلال القران : ج١/ ص ٥٤٢ .

(٢) الإتقان في علوم القران : الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، ضبطه وصححه : محمد سالم هاشم ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م ، دار الكتب العلمية : بيروت ـ لبنان ، ص٥٠ ، (وانظر فتح القدير : ج١/ ص ٤٠٩) .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ج٢/ ص ١٨١ بتصرف .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٨٨.

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي : ج١/ ص ١٩٩ .

من العذاب ، والتعبير عن النجاة من العذاب الأليم بقوله تعالى : ﴿ بِمَفَازَةٍ ﴾ الإشارة إلى أقصى ما يكون لهم من فوز أن ينجوا من العذاب الأليم أي المؤلم ، ولكنهم لن ينجوا منه أبدا ، ولذا أكد النهي بالخبر، فقال : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي عذاب مؤلم أشد الإيلام ، أو بكل ما يتصور العقل من إيلام ، ولذلك جاءت كلمة أليم نكرة ، فذكر سبحانه عذابهم الأليم بالسلب والإيجاب ، فنفى أولا أنهم بمنجاة منه وأخبر ثانيا بأنهم واقعون فيه) [1].

وهذه الآية (تصور نموذجاً من الناس يوجد على عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويوجد في كل جماعة . نموذج الرجال الذين يعجزون عن احتمال تبعة الرأي ، وتكاليف العقيدة ، فيقعدون متخلفين عن الكفاح . فإن غُلب المكافحون وهزموا رفعوا هم رؤوسهم وشمخوا بأنوفهم ونسبوا إلى أنفسهم التعقل والحصافة والأناة . . أما إذا انتصر المكافحون وغنموا ، فإن أصحابنا هؤلاء يتظاهرون بأنهم كانوا من مؤيدي خطتهم؛ وينتحلون لأنفسهم يداً في النصر ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا!

إنه نموذج من نماذج البشرية يقتات الجبن والادعاء . نموذج يرسمه التعبير القرآني في لمسة أو لمستين . فإذا ملامحه واضحة للعيان ، وسماته خالدة في الزمان . . وتلك طريقة القرآن)[2].

---

(١) زهرة التفاسير : محمد أبو زهرة ، ب ط ، ١٩٨٧م ، دار الفكر العربي . القاهرة . مصر ، ج٣/ ص ١٥٤٤.

(٢) في ظلال القران : ج١/ ص ٥٤٢ .

المطلب السادس : فرح المنافقين بالتخلف عن الجهاد :

قال الله تعالى : ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾[1].

المعنى العام :

إن هذه الآية المباركة جاءت ضمن سياق الآيات التي تحدثت عن أهمية الجهاد بالنفس والمال في سبيل الله ـ تعالى ـ ، وبيان خطورة المنافقين ، والتأكيد على الفوارق الأساسية بين من أخلص إيمانه لله ـ تعالى ـ ومن ادّعى الإيمان كذبا وزورا وهم المنافقون .

لقد نزلت آيات في غاية الوضوح في المنافقين و(بيان خطورة النفاق والمنافقين على المسلمين في كل عصر ، وإيضاح أن الإسلام دعوى لابدَ أن يصدقها الجهاد والتعرض للمحن ، حتى يتميز الصادق عن الكاذب ، ويمحص إيمان المؤمنين عن دجل المنافقين)[2].

---

(١) سورة التوبة الآية ٨١ .

(٢) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة : د : محمد سعيد رمضان البوطي ، ط٢٧ ، ١٤٢٨هـ .٢٠٠٧م ، دار الفكر . دمشق . سورية ، ص ٣٠٤.

قال الله تعالى : ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾[1].

(﴿ فَرِحَ ﴾ : الفرح السرور والابتهاج ، وهو حالة نفسية من مشاعر السعادة ، يحسُ بها الإنسان في داخله ، إذا حظي بما هو محبوب لديه .

﴿ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾ : أي المؤخرون في منازلهم وراء الخارجين إلى الجهاد في غزوة تبوك .

تقول : خلّف فلان خادمه في الدار وسافر ، إذا أخره ، أو جعله خلفه .

وسماهم الله ((مخلفين)) باسم المفعول للدلالة على أن من تخلّف عن خير عظيم بإرادته فهو في الحقيقة المتروك لا تارك ، والمهجور لا الهاجر)[2].

(﴿ بِمَقْعَدِهِمْ ﴾ المقعد يصلح أن يكون مصدرا ميميا بمعنى القعود ، ويصلح أن يكون اسم مكان القعود ، ويصلح أن يكون اسم زمان القعود .

ويمكن حمله هنا على هذه المعاني الثلاثة ، إذ المنافقون قد فرحوا بقعودهم وعدم خروجهم إلى الغزوة ، وفرحوا بمكان قعودهم الآمن الرّخِي الظليل ، وفرحوا بزمان قعودهم لأن الوقت قد كان شديد الحر ، والخروج فيه للجهاد في سبيل الله عمل شاقٌ، فتخصيص زمن الحر بجعله زمن قعود أمر يفرح به المنافقون)[3] .

---

(١) سورة التوبة الآية ٨١ .

(٢) ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ : ج٢/ ص ٣٣٧ . ٣٣٨ .

(٣) نفس المصدر : ج٢/ ص ٣٣٨ .

(والمعنى فرح المخلفون من هؤلاء المنافقين أي الذين تركهم الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ عند خروجه إلى غزوة تبوك بقعودهم في بيوتهم مخالفين لله تعالى وله ، وهذا المعنى أصح هنا ، وإنما فرحوا لأنهم لا يؤمنون بما في الخروج من الأجر العظيم الذي لا تذكر بجانبه راحة القعود في البيوت شيئا ﴿ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴾ أي قالوا لإخوانهم في النفاق لا تنفروا معه في الحر ، نهيا لهم عن المعروف وإغراء بالثبات على المنكر ؛ وهو عدم النفر ، أو قالوه تثبيا لهم فيه ، وتثبيطا للمؤمنين عنه ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ أي قل أيها الرسول تفنيدا لقولهم وتسفيها لحلمهم : نار جهنم التي أعدها الله ـ تعالى ـ لمن عصاه وعصى رسوله أشد حرا من تلك الأيام في أوائل فصل الخريف فهو يلبث أن يخف ويزول ، على كونه مما تحمله الجسوم ، وإما نار جهنم فحرها على شدته دائم ، فهو يلفح وجوههم ، وينضج جلودهم ، وينزع شواهم : وفي هذا أكبر عبرة لمن يتركون الجهاد وغيره من الواجبات إيثارا للراحة والنعيم وما يفعله في حال وجوبه عليهم إلا المنافقون ثم قال : ﴿ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ أي لو كانوا يعقلون ذلك ويعتبرون به لما خالفوا أو قعدوا ، ولما فرحوا بقعودهم إذ أجرموا فقعدوا، بل لحزنوا واكتأبوا ، وبكوا وانتحبوا ، كما فعل المؤمنون الذين أرادوا الخروج والنفقة فعجزوا)[1] .

قال سيد قطب ـ رحمه الله ـ :

(إن هؤلاء لهم نموذج لضعف الهمة ، وطراوة الإرادة؛ وكثيرون هم الذين يشفقون من المتاعب ، وينفرون من الجهد ، ويؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم ، ويفضلون السلامة الذليلة على الخطر العزيز . وهم يتساقطون إعياء خلف الصفوف

(١) تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار : ج١٠/ ص٤٩٣ ـ ٤٩٤ .

الجادة الزاحفة العارفة بتكاليف الدعوات . ولكن هذه الصفوف تظل في طريقها المملوء بالعقبات والأشواك ، لأنها تدرك بفطرتها أن كفاح العقبات والأشواك فطرة في الإنسان ، وأنه ألذ وأجمل من القعود والتخلف والراحة البليدة التي لا تليق بالرجال)[1].

المبحث الثالث
فرح الكافرين

المطلب الأول : فرح جحود النعم :

قد يكون الإنسان ناكرا لجميل أسدي إليه أو مقبلا على الإساءة إلى شخص أحسن إليه ولكن يصل به الحال إلى جحود النعم فان ذلك إشارة إلى نقص في عقله أو إتباع هوى قد أطغاه أو ظلام كفر قد أعمى بصره .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[2].

وقال الله تعالى أيضا : ﴿ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴾[3].

يصور لنا القران الكريم حال أولئك الذين يعايشون ساعات الأمن والرخاء والصحة وعندما يصابون ببلاء ينسون ما كانوا عليه من نعم ورخاء وعافية [4].

---

(١) في ظلال القران : ج٣/ ص ١٦٨٢ .

(٢) سورة الروم الآية ٣٦ .

(٣) سورة الشورى الآية ٤٨.

(٤) انظر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ج٤/ ص ٢٣٦ .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴾.(أي بليغ الستر للنعم نساء له ، ينسى بأول صدمة من النقمة جميع ما تقدم له من النعم ، ولا يعرف إلا الحالة الراهنة ، فإن كان في نعمه أشر وبطر ، وإن كان في نقمة أيس وقنط ، وهذا حال الجنس من حيث هو ، ومن وفقه الله جنبه ذلك كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)) [1] وليس ذلك إلا للمؤمن)[2].

وهناك نماذج من الإنسانية تحدث عنه القرآن الكريم بأنهم في حالة الرخاء والصحة والأمن يفرحون فرح بطر والأشر ، ولا يحسبون للإيمان والدين أي حساب وهم قد قرروا في أعماق كيانهم أن لا يحسبوا للأخلاق والقيم والمبادئ أي حساب ، وما أكثر هؤلاء في المجتمعات حيث أغرهم الحضارة المادية الحديثة بما فيها من شهوات وملذات محرمة مؤقتة ثم ما يلبثوا أن يذوقوا مرارتها وشقاءها طيلة حياتهم .

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[3].

(قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ ﴾ شروع في بيان غلبة محبة الدنيا ومطامعها على ذكاء النفس الإنساني وميلها إلى جانب الرشد والزهد وعبودية الله ـ تعالى ـ ، ونسيان نعمة الله على ذكرها وشكرها ، وتقلبها وتجوالها مع الهوى على ثباتها ، واستقامتها)[4].

---

(١) رواه مسلم : ٥٣.كتاب الزهد والرقائق ٣ . باب المؤمن أمره كله خير ، رقم الحديث (٢٩٩٩) : ج٤/ ص ٢٢٩٥ .

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، خرج أحاديثه : عبد الرزاق غالب المهدي ، ط ٣ ، ١٤٢٧هـ. ٢٠٠٦م ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ج٦/ ص ٦٤٧ .

(٣) سورة يونس الآية ٢٢.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القران :عبد الكريم محمد المدرس ، ط١ ، ١٤٠٧هـ.١٩٨٧م ، دار الحرية. بغداد ، ج٤/ ص٢٣٦.

(ذلك المشهد الحي ، الذي يعرض كأنه يقع ، وتشهده العيون ، وتتابعه المشاعر ، وتخفق معه القلوب ، يبدأ بتقرير القدرة المسيطرة المهيمنة على الحركة والسكون :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ ذلك أن السورة كلها معرض لتقرير هذه القدرة التي تسيطر على أقدار الكون كله بلا شريك ثم ها نحن أولاء أمام المشهد القريب :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ وها هي ذي الفلك تتحرك رخاء ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ .وهذه مشاعر أهل الفلك ندركها : ﴿ وَفَرِحُوا۟ بِهَا ﴾ وفي هذا الرخاء الآمن ، وفي هذا السرور الشامل ، تقع المفاجأة ، فتأخذ الغارين الآمنين الفرحين ﴿ جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ يا للهول! ﴿ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ وتناوحت الفلك واضطربت بمن فيها ، ولاطمها الموج وشالها وحطها ، ودار بها كالريشة الضائعة في الخضم . . وهؤلاء أهلها في فزع يظنون أن لا مناص : ﴿ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾ فلا مجال للنجاة . عندئذ فقط ، وفي وسط هذا الهول المتلاطم ، تتعرى فطرتهم مما ألم بها من أوشاب ، وتنفض قلوبهم ما ران عليها من تصورات ، وتنبض الفطرة الأصيلة السليمة بالتوحيد وإخلاص الدينونة لله دون سواه :

﴿ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ !

وتهدأ العاصفة ويطمئن الموج ، وتهدأ الأنفاس اللاهثة ، وتسكن القلوب الطائرة ، وتصل الفلك آمنة إلى الشاطئ ، ويوقن الناس بالحياة ، وأرجلهم مستقرة على اليابسة . فماذا ؟!

﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [1])[2].

(فلما نجاهم مما نزل بهم من الشدة والكربة فاجؤوا الناس في الأرض التي يعيشون فيها ، بالبغي والاستطالة عليهم والظلم لهم مع الإمعان في ذلك والإصرار عليه)[1] .

---

(١) سورة يونس الآية ٢٣.

(٢) في ظلال القران : ج٣/ ص ١٧٧٣-١٧٧٤ .

(وفي قوله تعالى : ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ تأكيدا للواقع ، وتذكير بقبحه وسوء حاله أهله ، أو لبيان أنه بغير حق عندهم أيضا ، بأن يكون ظلما ظاهرا ، لا يخفى على أحد قبحه ، كما في قوله تعالى : ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[٢])[٣].

(والناس حين يبغون هذا البغي يذوقون عاقبته في حياتهم الدنيا ، قبل أن يذوقوا جزاءه في الدار الآخرة . يذوقون هذه العاقبة فساداً في الحياة كلها لا يبقى أحد لا يشقى به ، ولا تبقى إنسانية ولا كرامة ولا حرية ولا فضيلة لا تضارّ به .
إن الناس إما أن يخلصوا دينونتهم لله . وإما أن يتعبدهم الطغاة . والكفاح لتقرير إلوهية الله وحدها في الأرض ، وربوبية الله وحدها في حياة البشر ، هو كفاح للإنسانية وللحرية وللكرامة وللفضيلة ، ولكل معنى كريم يرتفع به الإنسان على ذل القيد . ودنس المستنقع ، وامتهان الكرامة ، وفساد المجتمع ، ودناءة الحياة!)[٤].

ان لله ـ سبحانه وتعالى ـ سنن في حق الذين يجحدون النعم ويبطرونها ومن هذه السنن الإلهية :

١. عقوبة البطرين بالجوع والخوف :

قال الله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[٥].

٢. إهلاك البطرين وتخريب ديارهم :

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القران : ج١٢/ ص١٨٩ .
(٢) سورة آل عمران الآية ٢١.
(٣) المصدر السابق : ج١٢/ ص١٨٩ .
(٤) في ظلال القران : ج٣/ ص١٧٧٤ .
(٥) سورة النحل الآية ١١٢.

ومن سنته تعالى في البطرين تخريب ديارهم وإهلاكهم . قال الله تعالى في جزاء البطرين بالتخريب والتدمير : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [1] .

٣. إهلاك زروع البطرين وثمارهم :

ومن سنة الله في البطرين إهلاك زروعهم وثمارهم ، فليس عقاب البطرين واحدا فقد يكون بتخريب بيوتهم وإهلاكهم ، وقد يكون بإهلاك زروعهم وثمارهم ، وقد تجتمع هذه الجزاءات عليهم فيعاقبوا بالخوف والجوع ثم بإهلاك الزروع والثمار ثم بتخريب بيوتهم وتدميرهم .

وقد يحل جزاء واحدا فيتوبوا ، ولله الحكمة البالغة يفعل ما يشاء ، فمن الجزاء بإهلاك الزروع وثمار البطرين ما فعله الله تعالى بأهل سبأ ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [2] [3] .

---

(١) سورة القصص الآية ٥٨ .

(٢) سورة سبأ الآيات ١٥.١٧.

(٣) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية : د . عبد الكريم زيدان ، ط١ ، ١٤١٣هـ.١٩٩٣م ، دار إحسان . طهران . إيران ، ص ٢٠٠.٢٠١ بتصرف كبير .

المطلب الثاني : فرح الكافرين بالفخر على الآخرين :

الدنيا دار الابتلاء والامتحان ، والإنسان معرض للابتلاء والامتحان من قبل الله تعالى بصور مختلفة ، فمن الناس من يبتلى بالنعم كالسعة في الرزق والصحة والعافية ، ومنهم من يبتلى بالمصائب .

فالنجاح في كلي الحالتين مطلوب ؛ أما الذين لا يفهمون هذه المعادلة ولا يبذلون جهدا في سبيل حلها هم الذين يقنطون من رحمات الله بأدنى بلاء ، ويبطرون بأدنى نعمة ويتفاخرون على الآخرين .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ (١).

ولئن بسط الله تعالى للإنسان في دنياه ، ووسع له في رزقه ، وأعطاه النعم الوافرة بعد أن أصابه الضر والشدّة والبلاء (٢) : ﴿ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ﴾ ، وزوال المصائب والنكبات تستدعي الشكر والثناء الجميل وإظهار مزيدا من الخضوع والتذلل ، ولكن القلوب الخاوية من الإيمان يظهر عكس ذلك ، ولهذا وصف الله تعالى هؤلاء الناس في قوله : ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ (أشِرٌ بَطِرٌ، والفرح : لذة في القلب بنيل المشتهى ، والفخر : هو التطاول على الناس بتعديد المناقب ، وذلك منهيٌّ عنه)(٣) .

---

(١) سورة هود الآية ١٠ .

(٢) صفوة التفاسير : ج٢/ ص ١٠ بتصرف .

(٣) معالم التنزيل : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، حققه وخرج أحاديثه : محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش ، ط٤ ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ج٤/ ص١٦٤.

قال الشيخ رشيد رضا ـ رحمه الله ـ :

(انه في هذه الحالة لشديد الفرح والمرح الذي يهيجه البطر بالنعمة ، ومبالغ بالفخر والتعالي على الناس والاحتقار لمن دونه فيها ، فهو لا يقابلها بشكر الله عليها)[١].

إن الإنسان يجب أن ينسب جميع النعم إلى الله تعالى ويشكره على آلاءه ونعمه ويوظف تلك الفضائل في إسعاد الآخرين كما قيل :

واشكر فضائل صنع الله إذ جعلت إليك لا لك عند الناس حاجات

قد مات قوم ، وما ماتت مكارمهم وعاش قوم ،وهم في الناس أموات [٢]

لطائف الآية :

١. وردت كلمة ((نعماء)) مرة واحدة في القران الكريم في قوله تعالى :﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ [٣].

٢. هناك طباق[٤] بين (النعماء ..... والضراء)[٥] .

٣. النعماء : مقابلة للضراء في الآية (إن السياق يتحدث عن موقف الإنسان من حالتين : الرحمة يذوقها ثم تنزع عنه ، والنعماء تصيبه بعد الضراء .

فالنعماء هنا مقابل الضراء . والتقابل بين حالتين تصيبان الإنسان ، لا ثالث لهما ، فالإنسان إما في نعماء أو في ضراء .

---

(١) تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار : ج١٢/ ص ٢٣ .

(٢) ديوان الإمام الشافعي : جمع وترتيب : مختار فوزي النعال ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، دار الرضوان . حلب . سوريا ، ص٢٥.

(٣) سورة هود الآية ١٠ .

(٤) الطباق :هو جمع بين لفظين متقابلين في المعنى . انظر :(جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص٣٩١) .

(٥) إعراب القران الكريم وبيانه : محي الدين الدرويش ، ط ٧ ، ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م ، دار ابن كثير . دمشق . سوريا ، ج٣/ ص ٣٩٦ .

ولهذا جاءت ((نعماء)) بفتح النون ، لأنه لا يراد هنا ذكر النعم الكثيرة ، بل يراد الإشارة إلى جنس النعم وصنفها ، ووضعها في مقابل جنس الضراء وصنفها)[١].

٤. (وردت في الآية الكريمة لفظ الإذاقة والمس ، وفي ذكرهما تنبيه على أن ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن كالأنموذج لما يجده في الآخرة)[٢].

(١) لطائف قرآنية : د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ط ٤ ، ١٤٣٠هـ. ٢٠٠٩ م ، دار القلم. دمشق ، ص ١٨١.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي : ج١/ ص٤٥٣ .

المطلب الثالث : فرح الأحزاب الضالة :

إن ظاهرة التحزب من السمات البارزة في المجتمعات قديما وحديثا ، وقد ورد كلمة (الحزب) في الآيات القرآنية بصور مختلفة موضحا أبعاده وملامحه ، وما يحمل هذا المصطلح من معاني ودلالات ، وما يفرزه في المجتمع من حراك عقدي واجتماعي ، وسياسي مما يؤدي إلى إبراز صورة التحزب بصورة ايجابية أو سلبية .

قال الله تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ [1].

(﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗا ﴾ : اختلف بنو آدم في الدين ، فصاروا فرقا ، وأحزابا ، فمن موحد ، ومن يهودي ، ومن نصراني ، ومن عابد صنم ، ومن عابد شخص ، حتى لعن بعضهم بعضا ، وتبرأ بعضهم من بعض .

ثم ذكر الله ـ تعالى ـ أن كلاً منهم معجب برأيه ، وضلالته)[2] ، وهو ضلال بعينه .

(وقرئ : ﴿ زُبُرٗا ﴾ جمع زبور ، أي : كتباً مختلفة ، يعني : جعلوا دينهم أدياناً ، وزبراً قطعاً: استعيرت من زبر الفضة والحديد) [3].

قال الراغب الأصفهاني ـ رحمه الله ـ :

(﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗا ﴾ : أي صاروا فيه أحزابا) [4].

﴿كُلُّ حِزۡبِۭ ﴾ الحزب في اللغة تعني (الأرض الغليظة الشديدة ، والجماعة فيها

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٥٣.

(٢) تفسير القران الكريم وإعرابه وبيانه : ج٦/ ص٢٦٠ .

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ج٣/ ص١٩٣ .

(٤) المفردات في غريب القرآن : ص٢١٦.

قوة وصلابة ، وكل قوم تشاكلت أهواؤهم وأعمالهم ، وفي التنزيل العزيز : ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [1].

وحزب الرجل : أعوانه ، وفي التنزيل العزيز :﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ [2])[3] .

وفي الاصطلاح : (هو اجتماع جماعة على فكر واحد ، لأداء غرض واحد في المسائل السياسية ، وتكوين رأي انتخابي واحد) [4] .

وقوله تعالى : ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [5](أي : كلّ فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم ، فرح بباطله ، مطمئنّ النفس ، معتقد أنه على الحق)[6].

قال سيد قطب ـ رحمه الله تعالى ـ :

(لقد مضى الرسل صلوات الله عليهم أمة واحدة ، ذات كلمة واحدة ، وعبادة واحدة ، ووجهة واحدة؛ فإذا الناس من بعدهم أحزاب متنازعة لا تلتقي على منهج ولا طريق .

ويخرج التعبير القرآني المبدع هذا التنازع في صورة حسية عنيفة . لقد تنازعوا الأمر حتى مزقوه بينهم مزقاً ، وقطعوه في أيديهم قطعاً . ثم مضى كل حزب بالمزقة التي خرجت في يده . مضى فرحاً لا يفكر في شيء ، ولا يلتفت إلى شيء! مضى وأغلق على حسه جميع المنافذ التي تأتيه منها أية نسمة طليقة ، أو يدخل منها أي شعاع مضيء! وعاش الجميع في

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٥٣.

(٢) سورة المجادلة الآية ١٩.

(٣) المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى ، وأحمد حسن الزيات ، و حامد عبد القادر ، ومحمد علي النجار ، ط٢ ، ١٩٨٩م ، دار الدعوة . اسطنبول . تركيا ، ص ١٧٠ .

(٤) مشروعية العمل الجماعي :إبراهيم النعمة ، ط١ ، ١٤٢٤هـ.٢٠٠٣م ، مطبعة الزهراء الحديثة ، ص٢٩.

(٥) سورة المؤمنون الآية ٥٣.

(٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ج٣/ ص١٩٣.

هذه الغمرة مذهولين مشغولين بما هم فيه ، مغمورين لا تنفذ إليهم نسمة محيية ولا شعاع منير) [١].

موقف الشريعة الإسلامية من التحزب :

تعرض القران الكريم لقضية التحزب مبينا أشكاله وصوره ، حيث نرى أن القران الكريم قد ذمَ التحزب في بعض المواطن ومدحها في مواطن أخرى [٢]؛ وهذا يعني أن (التحزب ليس مرفوضا باطلاق ، وليس مقبولا باطلاق .

فالشرك حزب ، وأولياء الشيطان حزب ، وكل منهما ملعون ومرفوض ، وأولياء الله يشكلون حزبا وهم في موضع ثناء الله ورسوله .

وكما أن للشيطان حزبه الذي يقود أتباعه إلى عذاب السعير كذلك فان لله حزبه الذي يدعوهم إلى الجنة التي عرضها السموات والأرض .

والصراع بين حزب الله وحزب الشيطان قائم على قدم وساق في كل مجتمع من مجتمعات العالم قديما وحديثا ، وذكر لفظ (الحزب) في آيات كريمة ، منها قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [٣]، وقوله : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٤] ، وحزب الله هو الذي يرضي الله عن أتباعه ويدخلهم جنته .

وعلى العكس من ذلك ، فان حزب الشيطان قد سخط الله على أتباعه ، وسيدخلهم في نار السعير ؛ قال الله تعالى :﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[٥].

---

(١) في ظلال القران : ج٤/ ص٢٤٧٢.

(٢) التعددية الحزبية في الفكر الإسلامي الحديث : ديندار شفيق الدوسكي ، ط١ ، ٢٠٠٩ م ، دار الزمان ، ص١٤ بتصرف .

(٣) سورة المائدة الآية ٥٦ .

(٤) سورة المجادلة الآية ٢٢.

(٥) سورة المجادلة الآية ١٩.

وقال : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[1])[2].

(وإنما يتحدد الموقف من الأحزاب السياسية في النظرة الإسلامية بالموقف الذي تقفه هذه الأحزاب ذاتها من مبادئ الإسلام السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وبصفة عامة ، مبادئ الإسلام المتعلقة بتنظيم الحياة العامة في الدولة ، فكل حزب قامت مبادئه في اتساق أو وفاق مع مبادئ الإسلام فليس ثمة ما يمنع من تكوينه في الدولة الإسلامية والسماح له بمباشرة نشاطه فيها ، والدعوة إلى مبادئه وجمع الناس حولها ، وكل حزب تناقضت مبادئه مع مبادئ الإسلام أو تعارضت معها فان الأصل هو منعه من العمل في الدولة الإسلامية حفاظا على نظامها العام ومثلها العليا .

وقد يصح القول في ظروف الحالية للمجتمعات الإسلامية بأن وجود الأحزاب في هذه المجتمعات بالشرط الذي أسلفناه ضرورة لتقدمها ولحرية الرأي فيها ولضمان عدم استبداد الحاكمين بالمحكومين) [3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [4] ـ رحمه الله ـ :

(وأما رأس الحزب فانه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزبا ، فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق

---

(١) سورة فاطر الآية ٦ .

(٢) مشروعية العمل الجماعي : ص ٢٩ . ٣٠.

(٣) في النظام السياسي للدولة الإسلامية : محمد سليم العوّا ، ط٣ ، ١٤٢٨هـ.٢٠٠٨م ، دار الشروق ، ص٧٦.

(٤) هو ابن تيمية الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر البارع شيخ الإسلام علم الزهاد نادرة العصر، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن المفتي شهاب الدين عبد الحليم ابن شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني أحد الأعلام ، ولد في حران سنة ٦٦١هـ وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر ، وكان من بحور العلم ومن الأذكياء المعدودين والزهاد الأفراد والشجعان الكبار والكرماء الأجواد، أثنى عليه الموافق والمخالف وسارت بتصانيفه الركبان لعلها ثلاثمائة مجلد ،وحدث بدمشق ومصر والثغر، وقد امتحن وأوذي مرات وحبس بقلعة مصر والقاهرة والإسكندرية وبقلعة دمشق مرتين، وبها توفي في سنة ٧٢٨هـ ، انظر (تذكرة الحفاظ : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات ، ط ١ ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م ، دار الكتب العلمية . بيروت – لبنان ، ج٤/ ص ١٩٢) ، وانظر (الأعلام للزركلي : ج١/ ص ١٤٤) .

والباطل فهذا من التفرق الذي ذمَه الله تعالى ورسوله ، فان الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ، ونهيا عن التفرقة والاختلاف ، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان)[١].

(ومن ثم فان الأحزاب التي تدعوا إلى خير وحق ، ويؤدي وجودها إلى تحقيق مصالح الناس تدخل في نطاق قوله تعالى عن المؤمنين : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٢]، والأحزاب التي تقوم على محادة الله ورسوله تدخل في وصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ للضالين بأنهم : ﴿ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾[٣])[٤].

وقد عرف في التاريخ الإسلامي أحزابا سياسية مارسة نشاطها في ظل الدولة الإسلامية ، ولم يمنعها الدولة ولا أنظمتها ، وذلك إذا لم يسفكوا دما حراما ولم يسعوا في الأرض فسادا. وما فعله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ مع الخوارج[٥] أكبر حزب سياسي آنذاك يعتبر من هذا القبيل ؛ حيث (لم يزج أمير المؤمنين بالخوارج بالسجون أو يسلط عليهم الجواسيس ، ولم يحجر على حرياتهم ، ولكنه ـ رضي الله عنه ـ حرص على إيضاح الحجة وإظهار الحق لهم ولغيرهم ممن قد ينخدع بآرائهم ومظهرهم)[٦] .

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل : للإمام العلّامة تقي الدين ابن تيمية ، الذي حققه السيد محمد رشيد رضا ، ط١ ، ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م ، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان ، ج١/ ص١٦١ .

(٢) سورة المجادلة الآية ٢٢.

(٣) سورة المجادلة الآية ١٩.

(٤) في النظام السياسي للدولة الإسلامية : ص ٧٦.

(٥) الخوارج : (كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفق الجماعة عليه يسمى خارجيا سواء كان الخروج في أيام الصحابة كالخروج على الأئمة الراشدين ؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان ، والأئمة في كل مكان) انظر (الملل والنحل لأبي الفتح الشهرستاني ص١٣٢ ، والخوارج تاريخهم ، وفرقهم ، وعقائدهم ص٧) .

(٦) تاريخ الخلفاء الراشدين : د . علي محمد محمد الصلابي ، ط٣ ، ١٤٢٦ هـ.٢٠٠٥ م ، دار ابن كثير . دمشق ، ج٤/ ص٦٨٤.

المطلب الرابع : فرح التفرق ومخالفة الحق :

(النفس السوّية تعرف ربها ويشدها إحسانه ، وتؤوب إليه إن باعدها الشيطان عنه ولكن الثمرة قد تقطب ، والجنين قد يشوهه مرض ، والناس قد تستبد بهم الأثرة والشقاق والذهول عن الحق ..فهل يتركهم القرآن يهلكون ؟ .

كلا يناشدهم العودة إلى سبيل الفطرة :﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[1])[2].

أوجه القراءات القرآنية :

قال الله تعالى :﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[3].

اختلف القراء في قوله تعالى : ﴿ فَرَّقُوا ﴾ ، (فقرأ حمزة [4]والكسائي[5] بألف بعد الفاء

---

(١) سورة الروم الآية ٣١.٣٢.

(٢) نحو تفسير موضوعي لسور القران الكريم : ص ٣١٣.

(٣) سورة الروم الآية ٣٢ .

(٤) هو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الفرضي التيمي ، وكنيته : ((أبو عمارة)) أحد القراء السبعة ولد سنة ثمانين وأدرك الصحابة بالسن فلعله رأى بعضهم وقرأ القرآن عرضا على الأعمش وحمران بن أعين ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ومنصور وأبي إسحاق وغيرهم وقرأ أيضا على طلحة بن مصرف وجعفر الصادق ، وتصدر للإقراء مدة وقرأ عليه عدد كثير ، وكان إماما حجة قيما بكتاب الله تعالى حافظا للحديث بصيرا بالفرائض والعربية عابدا خاشعا قانتا لله ثخين الورع عديم النظير ، توفي سنة ١٥٦ هـ ، انظر (معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار : ص ١١٦. ١١٨) وانظر (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : ص ٧٥٨ . ٧٥٩) .

(٥) هو علي بن حمزة أبو الحسن الأسدي المعروف بالكسائي النحوي أحد أئمة القراء من أهل الكوفة استوطن بغداد وكان يعلم بها الرشيد ثم الأمين من بعده ، قال الجاحظ : كان أثيرا عند الخليفة، حتى أخرجه من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين ، وأخباره مع علماء الأدب في عصره كثيرة ، له تصانيف، منها (معاني القرآن) و (المصادر) و (الحروف) وغيره من التصانيف المفيدة توفي سنة ١٨٩ هـ، انظر (تاريخ بغداد : ج١١/ ص ٤٠٣) وانظر (الأعلام للزركلي : ج ٤ / ص٢٨٣).

وتخفيف الراء من المفارقة وهي الترك لأن من آمن بالبعض وكفر بالبعض فقد ترك الدين القيم ؛ أو فاعل بمعنى فعل من التفرقة والتجزئة أي آمنوا ببعضه .

والباقون بتشديد الراء بلا ألف فيهما)[1].

المعنى العام :

(وقوله تعالى : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾[2] ؛ أي: لا تكونوا من المشركين الذين قد فرقوا دينهم أي: بدلوه وغيروه وآمنوا ببعض وكفروا ببعض.

وقرأ بعضهم : (فارقوا دينهم) أي : تركوه وراء ظهورهم ، وهؤلاء كاليهود والنصارى والمجوس وعَبَدة الأوثان ، وسائر أهل الأديان الباطلة ، مما عدا أهل الإسلام ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[3] ، فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء وملل باطلة ، وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء، وهذه الأمة أيضًا اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة، وهم أهل السنة والجماعة ، المتمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين ، وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه)[4] .

---

(١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي ، تحقيق: أنس مهرة ، ط١ ، ١٤١٩هـ١٩٩٨م ، دار الكتب العلمية – لبنان ، ص ٢٧٨ .

(٢) سورة الروم الآية ٣٢ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٥٩ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ج٦/ ص ٣١٧ .

قال الإمام الطبري [1]ـ رحمه الله ـ :

(وقوله : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ ﴾ يقول : ولا تكونوا من المشركين الذين بدّلوا دينهم ، وخالفوه ففارقوه ﴿ وَكَانُواْ شِيَعٗا ﴾ يقول : وكانوا أحزابا وفرقا ، كاليهود والنصارى)[2] .

وقال صاحب الأساس[3]ـ رحمه الله ـ :

(﴿ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ أي : كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يجد باطله حقا .

وقد دلّت الآية على أن الشرك رأس العلل : منه يحدث تفريق الدين والتفرق ، ومنه تنشأ العصبية للباطل)[4].

(والتفرق غريزة في الناس أساسها إثبات الذات ومغالبة الغير ، وهو موجود بين أهل الدين وأهل الدنيا ، ويقترن غالبا بالرضا عن النفس والفرح بما أوتيت ! .

---

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر رأس المفسرين على الإطلاق أحد الأئمة ، وله التصانيف العظيمة منها تفسير القرآن وهو أجل التفاسير ، وتاريخ الأمم وغيرها ، وهو من أهل آمل طبرستان ، ولد سنة ٢٢٤هـ ، وطوف في الأقاليم ، فسمع بمصر والشام والعراق ثم ألقى عصاه واستقر ببغداد ، وبقي بها إلى أن مات سنة ٣١٠ هـ ، انظر (طبقات المفسرين : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : علي محمد عمر، ط١ ، ١٣٩٦هـ ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ص ٨٢) ، وانظر (التفسير والمفسرون : ج١/ ص ١٣٧) .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن : ج٢٠/ ص١٠٠ .

(٣) هو سعيد بن محمد ديب حوى ، ولد في مدينة حماة بسوريا سنة ١٩٣٥هـ وانظم إلى حركة الإخوان المسلمين سنة ١٩٥٢م وهو في الصف الأول الثانوي ، وتلقى العلم من العلماء والمشايخ ، ومن شيوخه : مصطفى سباعي ومصطفى الزرقاء وغيرهم ، وقد تخرج من الجامعة السورية سنة ١٩٦١م ، وله مؤلفات عديدة ومن هذه المؤلفات : الأساس في السنة ، وجند الله ثقافة وأخلاقا ، والأساس في التفسير وهذا الأخير ألفه وهو في السجن وغيرها من المؤلفات توفي سنة ١٩٨٩م ، انظر (من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة : المستشار عبد الله عقيل سليمان العقيل ، ط٣ ، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ،ص ٤٤٧ . ٤٥٣) .

(٤) الأساس في التفسير : سعيد حوى ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ.١٩٨٩م ، دار السلام ، ج٨/ ص٤٢٧٢ .

وهذا شاع بين الأولين والآخرين ولا يزال .. وهو لون من الخلاف يغاير كل المغايرة الاجتهاد الإسلامي المعروف والمذاهب الفقهية التي نشأت عنه .

إن الخلاف الفقهي ليس انقسام امة وإيقاد ضغائن ؛ انه وجهات نظر في قضايا فرعية أو هامشية ، وأصحابها مأجورون جميعا مخطئهم ومصيبهم ! ومن حاول تحويل الخلاف إلى تحزب وخصام فقد ضلّ)[١].

وقد ورد في ذم الاختلاف والتفرق أحاديث كثيرة ،عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ [٢] ـ رضي الله عنه ـ أَنَّهُ قَامَ فِينَا فَقَالَ أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَامَ فِينَا فَقَالَ : ((أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ))[٣].
وفي رواية أخرى : ((..... وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة)) قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : ((ما عليه أنا وأصحابي))[٤].
واختلف الناس في معنى الجماعة المرادة على أقوال :

١. إنها السواد الأعظم من أهل الإسلام .
٢. إنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين .
٣. إن الجماعة هي الصحابة على الخصوص ؛ فإنهم الذين أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده ، وهم الذين لا يجتمعون على الضلالة أصلا، وقد يمكن فيمن سواهم ذلك .

---

(١) نحو تفسير موضوعي لسور القران الكريم : ص ٣١٣.٣١٤ .

(٢) هو معاوية بن صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، شهد مع رسول الله . صلى الله عليه و سلم . حنينا وأعطاه من غنائم هوازن مائة بعير وأربعين أوقية ، قال ابن عباس . رضي الله عنه . : معاوية فقيه ، قال أبو نعيم : كان من الكتبة الحسبة الفصحاء حليما وقورا ، مات معاوية في رجب سنة ٦٠ هـ على الصحيح ، انظر (الإصابة في تمييز الصحابة : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط١ ، ١٤١٢ هـ ، دار الجيل – بيروت ، ج٦/ ص ١٥٤) ، وانظر (أسد الغابة في معرفة الصحابة : ج٥/ ص ٢٢٠) .

(٣) سنن أبي داود : ٣٥ .كتاب السنة ١ . باب شرح السنة : رقم الحديث (٤٥٦٩) : ص ٢٠٣ / ٣ .

(٤) أخرجه الترمذي : كتاب الايمان ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (وفي سنده عبد الرحمن بن زياد الأفريقي ، وهو ضعيف ، فتحسين الترمذي له لاعتضاده بأحاديث وروايات أخرى أنظر تحفة الأحوذي ص٤٣٦/٧.) وقال الشيخ ناصر الدين الألباني : هذا حديث حسن ، انظر (الجامع الصحيح سنن الترمذي : المذيلة بأحكام الشيخ الألباني عليه ، رقم الحديث (٢٦٤١) : ج٥/ ص ٢٦) .

٤. إن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام ، إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملل إتباعهم ، وهم الذين ضمن الله لنبيه عليه الصلاة والسلام أن لا يجمعهم على الضلالة .

٥. ما اختاره الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ من أن الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير منهم يجب طاعته ولزوم هذه الجماعة والابتعاد عن التفرق والشقاق[١].

أسباب نشأة التفرق :

إن نشأة الفرق قديما وحديثا يرجع إلى عدّة أسباب أهما الجهل والتخلف وحب الذات والأنانية والتلذذ بالشهوات قال الله تعالى : ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[٢] ، (أي : تمتعتم وتلذذتم بنصيبكم من الدنيا تمتعا كائنا مثل تمتع من سبقكم من الأمم بنصيبهم)[٣].

ومعنى (خضتم : دخلتم في الباطل)[٤] ، (وجمع ـ سبحانه وتعالى ـ بين الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض ، لان فساد الدين : أما في العمل وأما في الاعتقاد ، فالأول من جهة الشهوات ، والثاني من جهة الشبهات)[٥].

---

(١) انظر الاعتصام : للعلامة الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي ، خرج أحاديثه : محمود طعمة حلبي ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ.٢٠٠٠م ، دار المعرفة . بيروت . لبنان ، ص ٥١٧ .٥٢٠ بتصرف كبير .

(٢) سورة التوبة الآية ٦٩ .

(٣) تفسير القران الكريم وإعرابه وبيانه :ج٤/ ص١٨٦ .

(٤) التفسير التربوي للقران الكريم : أنور الباز ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، دار ابن حزم . القاهرة . مصر ، ج١/ ص ٥٩٢ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية : الإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي ، حققه وخرج أحاديثه : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، وشعيب الأرناؤوط ، ط ٢ ، ٢٠٠١هـ.١٤٢١م ، مؤسسة الرسالة ، ج١ص٣٩٨.

ومن جملة الأسباب التي أدى إلى نشأة الفرق ما يلي :

١. الغرور بالنفس والإعجاب بالرأي :

(فالغرور بالنفس والإعجاب بالرأي منزلق كبير من منزلقات الفكر ، يؤدي الى اعتقاد أشياء باطلة ، والتزام ضلالات وانحرافات فكرية ، والعمل على نشرها وجمع أنصار حولها)[١].

٢. ضعف العقل وغلبة الجهل والتخلف :

إن ضعف العقل وغلبة الجهل والتخلف في بعض أوساط اجتماعية والتي بعيدة عن مراكز العلم والحضارة يؤدي إلى خلق بيئة جيدة للأفكار السقيمة والفرق الضالة .

٣. التكبر :

(ونجد الكبر عاملا ذا أهمية من العوامل الصارفة عن الاستجابة للحق ، والباعثة إلى التمرد عليه ، والخروج عن دائرة الطاعة للخالق جلّ وعلا ، وتكوين معتقدات باطلا لا حجة لها ولا برهان)[٢].

٤. (تقديس العقل وتقديمه على النقل)[٣]:

إن الشريعة الإسلامية الغراء جعل للعقل منزلة رفيعة وأشاد بدوره في تميز الأشياء وإعمالها في كثير من الأمور قال الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها : ص٥٨٨.

(٢) نفس المصدر : ص٥٩٧.

(٣) الفرحون في ضوء القران الكريم والسنة النبوية : ص١٣١.

﴿ ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، وذم الذين لا يتفكرون ،فقال تعالى :﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾[2].

(ومن هنا نعلم أن الإسلام لم يحجر على الأفكار ، ولم يحبس العقول ، وإنما أرشدها إلى التزام حدِها ، وعرَفها قلة علمها ، وندبها إلى الاستزادة من معارفها ، فقال تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3] ، وقال تعالى :﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[4])[5].

أما الذين تجاوزوا هذا الحد وقعوا في مزالق كبيرة وأحدثوا انشقاقات في الصف الإسلامي مما أدى إلى نشوء فرق ضالة وخطيرة .

٥. العداء السافر من قبل الحاقدين على الإسلام وأهله :

كان لأعداء الإسلام الدور البارز في صناعة الفرق الضالة ودعمها واحتضان رجالاتها الخائنين للإسلام والمسلمين .

(لقد جرب الغزاة أن ينشروا بين المسلمين عقائد جديدة تفسر نصوص الإسلام بحسب أهواءهم ، وتنادي بالأخوة الإنسانية ، دون تفريق بين الأديان القائمة ، وتفسر الإسلام بأنه واحد من هذه الأديان المنتشرة في الأرض ، ويدعو إلى محبة ، والى التآخي العام بين البشر ، مهما كانت مذاهبهم واتجاهاتهم وأعمالهم ومعتقداتهم ، ولا يفرض نفسه على الناس فرضا ، وما هو بدين قتال وسفك دماء .

---

(١) سورة يونس الآية ١٠١ .

(٢) سورة يوسف الآية ١٠٥ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٨٥ .

(٤) سورة طه الآية ١١٤.

(٥) مجموعة رسائل الإمام البنا : الإمام حسن البنا بدون طبعة والسنة الطبع ، المكتبة التوقيفية . القاهرة . مصر ، ص ٣٣١.

وأمَا القتال الذي حصل في صدر الإسلام فقد كان عملية مرحلية فقط ، وقد انتهى دورها بانتشار الإسلام في العالم ، وأضافوا إلى هذا التغير في مفهوم الإسلام أخلاطا اعتقاديه أخرى تنسف الإسلام من أساسه .

واستأجروا للقيام بتنفيذ هذا المخطط أجراء ضمن صفوف المسلمين بألوان شتى ، وصور مختلفة ، وظهر بعض هؤلاء بأثواب قادة سياسيين ، وظهر بعضهم بأثواب مصلحين دينيين ، وابتدع بعضهم دينا جديدا دعا إليه وجمع فريقا من المرتزقة عليه

، فظهرت البهائية[١] في إيران ، وظهرت القاديانية[٢] في الهند ، وكل منهما قد ضمَن أخلاطه الاعتيادية ملفقة إلغاء ركن الجهاد في سبيل الله بالقتال ، ودعا إلى التعايش بمحبة وإخاء والتعاون مع السلطات الكافرة ، التي تمتص خيرات البلاد ، وتنشر مبادئها باعتبارها أمة غالبة مستعمرة)[٣] .

فحري بالمسلم أن يجتنب جميع هذه الأسباب ويسعى إلى وحدة الصف ولمِ الشمل ومواجهة الجهل والتخلف والأفكار الضالة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن .

---

(١) البهائية حركة نبعت من المذهب الشيعي الشيخي سنة ١٢٦٠هـ . ١٨٤٤ م تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودي العالمي والاستعمار الانجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية ، انظر (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة : ج١/ ص ٤٠٩) .

(٢) القاديانية حركة نشأت سنة ١٩٠٠ م بتخطيط من الاستعمار الانجليزي في القارة الهندية ، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص ، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام ، وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان التي تصدر باللغة الانجليزية ، انظر (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة : ج١/ ص ٤١٦) .

(٣) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير. الاستشراق . الاستعمار : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ط ٨ ، ١٤٢٠هـ.٢٠٠٠م ، دار القلم. دمشق ، ص٢٧٧. ٢٧٨.

المطلب الخامس : فرح الكفار بأهوائهم وأرائهم الفاسدة :

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [1].

(يخبر تعالى عن المكذبين الهالكين أنهم لما جاءتهم رسلهم بالحجج والأدلة الظاهرة على توحيد الله والبعث والجزاء وصدقهم في النبوة والرسالة : ﴿ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ المادي وسخروا من العلم الروحي واستهزءوا بأهله فرحا ومرحاً)[2] .

العلم الذي فرحوا به يحتمل عدة أوجه من التفاسير :

١. أن يكون المراد الأشياء التي كانوا يسمونها بالعلم وهي الشبهات التي

حكاها الله عنهم في القرآن كقولهم : ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾[3]، وقولهم : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾[4]، وقولهم : ﴿ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ [5]، وقولهم : ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾[6] ، وكانوا يفرحون بذلك ، ويدفعون به علوم الأنبياء كما قال الله تعالى :﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [7].

---

(١) سورة غافر الآية ٨٣ .

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير : جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ، ط٥ ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، مكتبة العلوم والحكم . المدينة المنورة . المملكة العربية السعودية ، ج٤/ ص ٥٨٨ .

(٣) سورة الجاثية الآية ٢٤.

(٤) سورة الإنعام الآية ١٤٨ .

(٥) سورة يس الآية ٧٨ .

(٦) سورة الكهف الآية ٣٦.

(٧) سورة المؤمنون الآية ٥٣.

٢. يجوز أن يكون المراد علوم الفلاسفة فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحي الله تعالى

دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علومهم وعن سقراط [١]أنه سمع بمجيء بعض الأنبياء فقيل له لو هاجرت اليه ، فقال : نحن قوم مهديون فلا حاجة بنا إلى من يهدينا .

٣. يجوز أن يكون المراد علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى

: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[٢] ؛ فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات

وهي معرفة الله تعالى ومعرفة العماد وتطهير النفس عن الرذائل لم يلتفتوا إليها واستهزؤوا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به[٣].

(والعلم ـ بغير إيمان ـ فتنة ؛ فتنة تعمي وتطغي ؛ ذلك أن هذا اللون من العلم الظاهري يوحي بالغرور ، إذ يحسب صاحبه أنه يتحكم بعلمه هذا في قوى ضخمة ، ويملك مقدرات عظيمة ، فيتجاوز بنفسه قدرها ومكانها ! وينسى الآماد الهائلة التي يجهلها ، وهي موجودة في هذا الكون ؛ ولا سلطان له عليها ، بل لا إحاطة له بها ، بل لا معرفة له بغير أطرافها القريبة ، وبذلك ينتفخ فيأخذ أكثر من حقيقة ، ويستخفه علمه وينسى جهله ، ولو قاس ما يعلم إلى ما يجهل ، وما يقدر عليه في هذا الكون إلى ما يعجز حتى عن إدراك سره لطامن من كبريائه وخفف من فرحه الذي يستخفه)[٤].

(﴿ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ؛ أي أحاط بهم العذاب الذي كان نتيجة كفرهم

---

(١) أحد عمالقة الفلسفة اليونانية الثلاثة (مع أفلاطون وأرسطوا) الذين أرسوا الدعائم الفلسفية للحضارة الغربية ، وكان شعاره ((اعرف نفسك)) دعوة عميقة الى تفحص الانسان للمحتوى الخلقي والاجتماعي للسلوك البشري في فترة سادة فيها الحروب وانحسرت فيها القيم الاخلاقية عند يونان ، ولد عام ٤٧٠ ق. م ، وتوفي عام ٣٣٩ ق. م (انظر موسوعة السياسية : ج ٣ / ص ٢٠٧) .

(٢) سورة الروم الآية ٧ .

(٣) مفاتيح الغيب : ج٢٧/ ص ٧٩ بتصرف .

(٤) في ظلال القران : ج٥/ ص٣١٠١ .

وتكذيبهم واستهزائهم)[1] .

(وفي الآية الكريمة فن التهكم ؛ وهو في اصطلاح البيانيين : الاستهزاء ، والسخرية من المتكبرين لمخاطبتهم بلفظ الإجلال في موضع التحقير ، والبشارة في موضع التحذير ، والوعد في موضع الوعيد ، والعلم في موضع الجهل ، تهاونا من القائل بالمقول ، واستهزاء به)[2].

العلوم المادية طريق إلى الشقاء والهلاك :

الطرق التي تؤدي إلى شقاء الإنسانية وهلاكها كثيرة ؛ فمن هذه المهلكات الجهل والتخلف والفساد والعلم المادي الذي لم يحتضن في بيئة الوحي الرباني .

والعلوم الناتجة عن أحاسيس ومشاعر الإنسان تحمل في غالبها طبائع الإنسان من حب الذات والأنانية وغيرها من الأحاسيس ، ولهذا كان العلم المادي سبيلا إلى الشقاء والهلاك ، وعدم توفير مستلزمات السعادة لبني الإنسان ، (فالفساد الإداري ، والانحطاط الخلقي ـ مثلا ـ كافيان لتدمير مجتمع بأكمله مع وجود الجامعات ومراكز البحوث ، فالعلم ـ أيا كان موضوعه ـ ما هو إلا أحد النظم المهمة التي تمنح المجتمع توازنه ، لكنه إذا لم يكن مؤطرا بعقيدة صحيحة ، ومتزامنا في عمله مع نظم سياسية وأخلاقية ... جيدة ، فان قدرته على النهوض بالحياة ، ستكون محدودة)[3].

من البداهة القول بأن الناس قد انبهروا بما أنجزه العلم والمعرفة من التقدم العلمي والمعرفي والتكنولوجي مما أدَى إلى إغراء الكثيرين وإضلالهم .

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير : ج٤/ ص ٥٨٨ .

(٢) تفسير القران الكريم وإعرابه وبيانه : ج٨/ ص ٤٠٤ .

(٣) تجديد الوعي : د. عبد الكريم بكّار ، ط٢ ، ١٤٢٦هـ.٢٠٠٥م ، دار القلم. دمشق ، ص ٥٩ .

ومن أهم الأسباب التي أدت إلى انحراف المجتمع قديما وحديثا بروز العلوم المادية وسوء استخدامها في الحياة (ومن أوهام الجاهلية .. أمثال كثيرة في التاريخ ، فكل جاهلية ذات حضارة ، كانت تظن أن حضارتها ـ المنحرفة ـ هي الخير والبركة والارتفاع الذي ليس وراءه ارتفاع .

وكانت النتيجة الحتمية واحدة في النهاية .. انهيار تلك الحضارات .. أو تلك الجاهليات بحكم ما فيها من جاهلية وانحراف)[1].

ولقد صوَر لنا القران الكريم (صورة العلم المادي الذي يغتر به صاحبه ، ويحجبه عن الإيمان بالوحي ، وإتباع الرسل ، فيهلك مع الهالكين .

وفي هذا جاء قول الله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [2].

ففرح هؤلاء بما عندهم من العلم المادي أعماهم عن علم النبوة وأنوار الوحي ، واستهزءوا به ، فحاق بهم عاقبة استهزاءهم) [3].

المطلب السادس : فرح التكبر والفخر :

(١) جاهلية القرن العشرين : محمد قطب ، ب ط ، ١٤١٥هـ. ١٩٩٥م ، دار الشروق ، ص١٩٦ .

(٢) سورة غافر الآية ٨٢.٨٣ .

(٣) العقل والعلم في القرآن الكريم : ص ١٤٣ . ١٤٤ .

قال الله تعالى : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [1].

أوجه القراءات القرآنية :

(﴿ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ بالمدّ لآتاكم ، بمعنى : لا تفرحوا بما أعطاكم الله من الدنيا، وقراءة المدّ للسبعة غير أبي عمر ، فقد قرأ قصرا : ((أتاكم)) بمعنى جاءكم من الدنيا)[2].

المعنى العام :

(وقوله تعالى : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ، أي : أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها ، لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم ، وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم ، فلا تأسوا على ما فاتكم ، فإنه لو قدر شيء لكان ﴿ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ أي : جاءكم ، ويقرأ : ((آتاكُم)) أي : أعطاكم ، وكلاهما متلازمان ، أي : لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم ، فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم ، وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم ، فلا تتخذوا نعم الله أشرًا وبطرًا، تفخرون بها على الناس)[3].

---

(١) سورة الحديد الاية ٢٣.

(٢) التفسير التطبيقي منهج عملي لدراسة النص القرآني : د. حسن بشير صديق ، ط٣ ، ١٤٢٨هـ. ٢٠٠٧م ، الدار السودانية. خرطوم. السودان ، ص٢٦٣ ، (وانظر : السبعة في القراءات : ص ٦٢٦) .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ج٨/ ص ٢٧ .

(إن الأشياء مقدرة مكتوبة قبل وجود الخلق وأن ما كتب واقع لا محالة لأجل ألا تحزنوا على شيء فاتكم لأن فواته لكم مقدر وما لا طمع فيه قل الأسى عليه ولا تفرحوا بما آتاكم لأنكم إذا علمتم أن ما كتب لكم من الرزق والخير لا بد أن يأتيكم قل فرحكم به) [١].

(وليس أحد إلا وهو يفرح عند منفعة تصيبه ، ويحزن عند مضرة تنزل به ، ولكن ينبغي أن يكون الفرح شكراً والحزن صبراً ، وإنما يذم من الحزن الجزع المنافي للصبر ومن الفرح الأشر المطغي الملهي عن الشكر) [٢].

قال عكرمة[٣] ـ رحمه الله ـ :

(ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفَرَح شكرًا والحزن صبرًا)[٤] .

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾ ، أي متكبر بما أوتي من الدنيا، فخور به على الناس ، وقيل : المختال الذي ينظر إلى نفسه بعين الافتخار، والفخور الذي ينظر إلى الناس بعين الاحتقار [٥].

قال الشيخ طاهر بن عاشور[١] ـ رحمه الله ـ :

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م ، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت ، ج٧/ ص ٥٤٩ .

(٢) تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل : للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه : الشيخ زكريا عميرات ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ. ٢٠٠٨ م ، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ، ج٢/ ص ٦٥١ .

(٣) عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) : تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي ، طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعيا ، وذهب إلى نجد الحروري، فأقام عنده ستة أشهر، ثم كان يحدث برأي نجدة ، وخرج إلى بلاد المغرب، فأخذ عنه أهلها رأي " الصفرية " وعاد إلى المدينة ، فطلبه أميرها، فتغيب عنه حتى مات سنة ١٠٥هـ ،وكانت وفاته بالمدينة هو و " كثير عزة " في يوم واحد فقيل: مات أعلم الناس وأشعر الناس ، انظر (الأعلام للزركلي : ج٤/ ص ٢٤٤) وانظر (سير أعلام النبلاء : ج٥/ ص ٣٢. ٣٤) .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ج٨/ ص ٢٧ .

(٥) الجامع لأحكام القران : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، ط١ ، ١٤٢٢هـ. ٢٠٠٢م ، دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان ، ج٩/ ص١٦٧ بتصرف .

(والمعنى : أخبرتكم بذلك لتكونوا حكماء بُصراء فتعلموا أن لجميع ذلك أسباباً وعللاً ، وأن للعالم نظاماً مرتبطاً بعضه ببعض ، وأن الآثار حاصلة عقب مؤثراتها لا محالة ، وإن إفضاءها إليها بعضه خارج عن طوق البشر ومتجاوز حد معالجته ومحاولتِه ، وفعل الفوات مشعر بأن الفائتَ قد سعى المفوتُ عليه في تحصيله ثم غُلب على نواله بخروجه عن مِكنته، فإذا رسخ ذلك في علم أحد لم يحزن على ما فاته مما لا يستطيع دفعه ولم يغفل عن ترقب زوال ما يسره إذا كان مما يسره ، ومن لم يتخلق بخلُق الإسلام يتخبط في الجوع إذا أصابه مصاب ويُستطار خُيلاء وتطاولاً إذا ناله أمر محبوب فيخرج عن الحكمة في الحالين .

والمقصود من هذا التنبيهُ على أن المفرحات صائرة إلى زوال وأن زوالها مصيبة .

واعلم أن هذا مقام المؤمن من الأدب بعد حلول المصيبة وعند نوال الرغيبة .

وصلة الموصول في (بما آتاكم) مشعرة بأنه نعمة نافعة ، وفيه تنبيه على أن مقام المؤمن من الأدب بعد حلول المصيبة وعند انهيال الرغيبة ، هو أن لا يحزن على ما فات ولا يبطر بما ناله من خيرات ، وليس معنى ذلك أن يترك السعي لنوال الخير واتقاء الشر قائلاً : إن الله كتب الأمور كلها في الأزل ، لأن هذا إقدام على إفساد ما فَطر عليه الناس وأقام عليه نظام العالم . وقد قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للذين قالوا أفلا نَتَّكِل ((اعمَلوا فكل ميسَّر لما خُلق له)) [٢]) .[٣]

إن بعض المدارس التربوية تؤكد على تربية النفس بهجر الدنيا وعدم الفرح بها ، والحزن الدائم ، حتى أن بعضهم جعلها منزلة من منازل السائرين وأهل السلوك ناسين أن الحزن

---

(١) هو محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة ، مولده ووفاته ودراسته بها ، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة ،ولد سنة ١٢٩٦ هـ ، وتوفي سنة ١٣٩٣ هـ ، ومن مصنفاته (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن ، و (الوقف وآثاره في الإسلام) و (أصول الإنشاء والخطابة) و (موجز البلاغة) ومما عني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد) أربعة أجزاء ، وكتب كثيرا في المجلات ، انظر (الأعلام للزركلي :ج٦/ ص ١٧٤) .

(٢) رواه البخاري : ٦٨ .كتاب التفسير ١٠ . باب فسنيسره للعسرى : رقم الحديث (٤٦٦٦) : ج٤/ ص ١٨٩١ .

(٣) التحرير والتنوير : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ب ط ، ١٩٩٧ م ، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس ، ج٢٧/ ص ٤١٢.

ذكر في الشريعة الإسلامية ضمن سياقات محددة ، وذلك لبيان دور الإنسان في الحياة وجهاده فيها ، فالحزن ليس مرغوبا لذاته ، وإنما هي وسيلة تربوية لعلاج الأمراض المهلكة التي تصيب الإنسان كـ (الغرور ، والعجب ، والتكبر) .

وهي الدواء النافع عندما يرى المؤمن انتهاك الحرمات وشيوع الفساد وسيطرته على مناحي الحياة .

فالحزن عندئذ يعتبر طاقة روحية هائلة لتغير الاعوجاج الحاصل فشرارات الحزن تصل إلى قلوب واعية فيزرع فيها حب المقاومة والجهاد ويدفعها نحو العمل البناء المثمر .

فالمطلوب من المسلمين النهوض بحالهم في الميادين العلمية والعملية والبناء الحضاري ؛ لا الاكتئاب والحزن وترك الميادين الأساسية من الحياة .

المطلب السابع : فرح الكفار بدنياهم :

إن من اجل النعم التي أنعم الله بها على الإنسان عبر التاريخ هي نعمة الإيمان والعبودية والتسليم الخالص لأوامر الله تعالى ، ويعتبر هذه النعم من مقومات السعادة والعيش الكريم .

أما التعلق بغير هذه الهداية الربانية ، يجلب للإنسانية الهلاك والشقاء .

قال الله تعالى :﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ (١).

(أي : فلما أعرضوا عما أنذرهم ووعظهم به الرسل وتركوا الاهتداء به حتى نسوه أو جعلوه كالمنسي في عدم الاعتبار والاتعاظ به لإصرارهم على كفرهم ، وجمودهم على تقليد من قبلهم ؛ بلوناهم بالحسنات بما فتحنا عليهم من أبواب كل شيء من أنواع سعة الرزق ورخاء العيش وصحة الأجسام ، والأمن على الأنفس والأموال ، كما قال تعالى في قوم موسى - عليه السلام - : ﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٢) ، فلم يتربوا بالنعم ، ولا شكروا المنعم ، بل أفادتهم النعم فرحا وبطرا ، كما أفادتهم الشدائد قسوة وشرا)(٣).

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ من الخير على أنواعه فرح بطر وأشر وأعجبوا بذلك وظنوا أنهم إنما أعطوه لكون كفرهم الذي هم عليه حقا وصوابا : ﴿ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً ﴾ أي فجأة وهم غير مترقبين لذلك والبغتة : الأخذ على غرة من غير تقدمة أمارة(٤)

---

(١) سورة الأنعام الآية ٤٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٦٨ .

(٣) تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار : ج٧/ ص٣٤١ .

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : الشيخ العلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، حققه : د. عبد الرحمن

﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ (المبلس : الشديد الحسرة)[1]، (ويأتيهم العذاب وهم مبلسون أي يائسون لا منجى ولا منقذ ولا خلاص لهم)[2].

العطاء الدنيوي لا يدل على الصلاح والتقوى :

(إن النفس تفرح بالتنعم في الدنيا وتركن وتطمئن إليه أشرا وبطرا حتى تصير ثملة كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى : ﴿ وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا ﴾[3]، وقال تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[4])[5].

وقال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾[6].

عميرة ، ط٢ ، ١٤١٨ هـ.١٩٩٧ م ، دار الوفاء . المنصورة . مصر ، ج٢/ ص ١٦٤ . ١٦٥ .

(١) معاني القران وإعرابه المسمى المختصر في إعراب القران ومعانيه : ج٢/ ص١٥٣ .

(٢) تفسير الشعراوي : ج٦/ ص ٣٦١٧ .

(٣) سورة يونس الآية ٧.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٨٥ .

(٥) إحياء علوم الدين : الإمام أبي الحامد محمد بن محمد الغزالي ، خرج أحاديثه العلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، ط١ ، بدون سنة الطبع ، دار القلم . بيروت . لبنان ، ج٣/ ص ٦٥ . ٦٦ .

(٦) سورة الرعد الآية ٢٦ .

(إن الله تعالى يوسِع الدنيا على من يشاء من عباده ويضيّق على من يشاء حسب الحكمة والمصلحة) [1]، فكثرة النعم ليس دليل على رضا الله تعالى وكذلك عدمه ليس دليل على سخط الله تعالى .

قال الشيخ سعيد حوى ـ رحمه الله ـ :

(الدنيا عندما تفتح على إنسان فذلك يمكن أن يكون إكراما أو إهانة ، فالمؤمن يبقى حذرا ، أما أن يفرح بالدنيا وإقبالها بإطلاق فهذا غلط ، ويدل على أن عين بصيرته لا ترى الأشياء على حقيقتها ، فعندما تكون بصيرته صحيحة ومرآة قلبه صحيحة وعنده نور فالدنيا لا تساوي شيئا ((لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء))[2])[3] .

فعلى المسلمين أن يعلموا أن العطاء الدنيوي الذي أوتي أهل الكفر والإلحاد ما هو إلا استدراج من الله تعالى ليريهم كيف يعملون .

الفصل الثالث

---

(١) صفوة التفاسير : ج١/ ص٧٤ .

(٢) أخرجه الترمذي : ٣٧.كتاب الزهد ١٣ . باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ، رقم الحديث (٢٣٢٠) : ص ٥٦٠ / ٤ ، وانظر (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : ص ١٩٥ / ٣) .

(٣) مذكرات في منازل الصديقين والربانيين من خلال نصوص وحكم ابن عطاء الله السكندري : سعيد حوى ، ط٥ ، ١٤٢٥هـ.٢٠٠٤م ، دار السلام ، ص٣٣٦ . ٣٣٧ .